حَادِثَةُ الذَّبْحِ وَالذَّبِيحِ بَيْنَ التَّوْرَاةِ وَالقُرْآنِ

(دراسة تحليليَّة مقارنة)

د. زيدان خلف الموزاني

المديرية العامة للتربية– محافظة واسط

فحوى البحث

يتعرض البحث لمسألة تاريخية –دينية، تدور حول الامر الالهي للنبي ابراهيم خليل الله الذي جاءه في المنام والقاضي بذبح ولده وانفاذ ابراهيم عليه السلام لهذا الامر، ثم فداء الذبيح بكبش بدلاً منه. وتأتي اهمية البحث من كونه بحثاً مقارناً بين دعوى التوراة (الذي يمثل اليهود) والانجيل (الذي يمثل رأي النصارى) والقرآن الكريم (الذي لم يصرح باسم الذبيح مما ترك الباب مفتوحاً للتخمين مما يدخل المرويات عن النبي والمعصومين والصحابة مجال تقرير الحقيقة، والتي تشير بما لا يقبل الشك الى انه اسماعيل عليه السلام ولغرض تغطية البحث بالحقائق قسمه السيد الباحث على ثلاثة ميادين وخاتمة، مقتبساً كل دلائله من نصوص التوراة والانجيل والقرآن.

المقدمة:

تحتل حادثة الذبيح اهمية كبيرة في التاريخ نظرا للخلاف حول شخصية من هوالذبيح فاليهود يقولون انه اسحاق بن ابراهيم عليه السلام اعتمادا على ماجاء في التوراة وبعض المصادر الاخرى.

اما المسلمون فيعتقدون ان الذبيح هو النبي اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام معتمدين في دعواهم على ادلة متعددة من القران الكريم ومن التوراة والمصادر الاخرى، ولاجل تسليط الضوء على ذلك ومعرفة الذبيح من ابناء ابراهيم الخليل من خلال المصادر المختلفة ومناقشة ادلة كل طرف من اطراف القضية وقع الاختيار على دراسة هذا الموضوع، ومحاولة الوصول الى اصدق الاراء واقواها في حل هذه الاشكالية.

ولغرض تتبع مقاصد البحث قسم على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، خصص الاول منها لدراسة الذبيح عند اهل الكتاب فيما درس المبحث الثاني الذبيح عند المسلمين وتناول المبحث الثالث اختلاف المسلمين حول الذبيح.

المبحث الاول:

الذبيح عند اهل الكتاب

يختلف اليهود عن المسلمين في تسمية الذبيح من ولد ابراهيم عليه السلام ، فبينما يذهب المسلمون الى انه اسماعيل ترى اليهود والنصارى انه اسحاق، هذا الى ان حادثة الذبيح عند اليهود تختلف عنها عند المسلمين، فالذي يقرأ تاريخ اليهود يلاحظ ان هذا الاختلاف له جانب مهم يفوق في الاهمية البحث التاريخي الذي يراد منه مجرد معرفة اسم الذبيح من وَلَدَيْ ابراهيم، فإنه يبدو اختلاف يتعلق به اختيار الشعب الموعود، ويتعلق به الحذف والاثبات في سيرة ابراهيم عليه السلام ليتصل بذرية اسحاق وينقطع عن ذرية اسماعيل او ليثبت من سيرته كل ما يتعلق باسرائيل وينقطع منها كل ما يتعلق بالعرب، وان هذا النزاع قد بدأ قديما قبل تدوين نسخ التوراة التي كتبت في بابل، اي قبل الميلاد بعدة قرون[1]، في

(١) العقاد، عباس محمود، ابراهيم ابو الانبياء، مطبعة دار نهضة مصر، القاهرة، (د. ت)، ص٨٢.

ايام السبي البابلي (٥٨٧-٥٣٩ ق. م)، يبدو واضحا ان هذا النزاع لم يكن في اوله نزاعاً حول العقيدة، فان التوراة تروي في سفر التكوين ان ابراهيم عليه السلام قدم العشر لملكي صادق ملك شاليم ((وملكي صادق ملك شاليم اخرج خبزاً وخمراً وكان كاهناً لله العلي.. ومبارك الله العلي الذي اسلم اعدائك في يدك فاعطاه عشرا من كل شيء))[٢]، غير معقول ان ملكي صادق هو كاهن لله وليس ملكا يسقي الخمر الى النبي ابراهيم الخليل هذا افتراء على ابي الأنبياء وتهمة باطلة لاتليق بمقامه والقدوة الحسنة. والله العلي -او عليون الذي كان معبوداً لسكان فلسطين وما جاورها الى الجنوب[٣].

ارتبط الدين اليهودي بالتاريخ الذي كتب على مزاجهم وفق ما يشتهون، وهم ينظرون الى التوراة على انها سجل تاريخي يشهد ان اليهود كانوا شعباً في قديم الزمان، يقول مارتن بوبر اكبر مؤرخي الدين اليهودي بانه ((تاريخ يتدخل فيه الرب))[٤]. ومن هنا كانت الدعوة بأن الذبيح كان اسحاق رغبة في اغتصاب شرفٍ عُرف لإسماعيل جد العرب، وقد ادى ذلك الى ان يوجد لدينا رأيان عن الذبيح من ولدي ابراهيم عليه السلام.

تقول اليهود والنصارى ان الذبيح من ولد ابراهيم عليه السلام هو اسحاق، معتمدين في ذلك اموراً عدة، منها أولا: نص التوراة الذي يقول: ((وحدث بعد هذه الامور ان الله امتحن ابراهيم، فقال له يا ابراهيم، فقال ها اناذا، فقال خذ ابنك وحيدك الذي تحبه اسحاق واذهب الى ارض المريا واصعده هناك محرقة على احد الجبال الذي اقول لك، فبكر ابراهيم صباحاً وشد على حماره وأخذ اثنين من غلمانه معه و اسحاق ابنه وشقق حطبا لمحرقة وقام وذهب الى الموضع الذي قال له الله، وفي اليوم الثالث رفع

(٢) مجمع الكنائس الشرقية، الكتاب المقدس، العهد القديم، دار الكتاب المقدس، ١٩٨٠، سفر التكوين، الاصحاح ١٨، الاية١٤ -٢٠.

(٣) العقاد، ابراهيم ابو الانبياء، ص٨٢.

(٤) نقلا عن: حميد، فوزي محمد، حقائق واباطيل في تاريخ بني اسرائيل، دار الصفدي، دمشق، ١٩٩٤، ص١٣.

ابراهيم عينيه وابصر الموضع من بعيد، فقال ابراهيم لغلاميه اجلسا انتما ها هنا مع الحمار، واما انا والغلام فنذهب الى هناك ونسجد ثم نرجع اليكما، فاخذ ابراهيم حطب المحرقة ووضعه على اسحاق ابنه واخذ بيده النار والسكين، فذهبا كلاهما معا وكلم اسحاق ابراهيم اباه وقال يا أبي، فقال ها اناذا يا أبني، فقال هو ذا النار والحطب ولكن اين الخروف للمحرقة، فقال ابراهيم الله يرى له الخروف للمحرقة يا أبني، فذهبا كلاهما معاً فلما اتيا الى الموضع الذي قال له الله بنى هناك ابراهيم المذبح ورتب الحطب، وربط اسحاق ابنه ووضعه على المذبح فوق الحطب، ثم مد ابراهيم يده واخذ السكين ليذبح ابنه فناداه ملاك الرب من السماء وقال ابراهيم ابراهيم، فقال ها اناذا، فقال لاتمد يدك الى الغلام ولا تفعل به شيئا، لأني الان علمت انك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عني، فرفع ابراهيم عينيه ونظر واذا بكبش وراءه ممسكاً في الغابة بقرنيه، فذهب ابراهيم واخذ الكبش واصعده محرقة عوضا عن ابنه، فدعا ابراهيم ذلك الموضع يهوه يراه، حتى انه يقال اليوم في جبل الرب يرى. ونادى ملاك الرب ثانية من السماء، وقال بذاتي اقسمت يقول الرب اني من اجل انك فعلت هذا الامر ولم تمسك ابنك وحيدك. اباركك مباركة واكثر نسلك تكثيرا كنجوم السماء وكالرمل الذي على شاطئ البحر ويرث باب اعدائه ويتبارك في نسلك جميع امم الارض، من اجل انك سمعت لقولي ثم رجع ابراهيم الى غلاميه فقاموا وذهبوا معاً الى بئر سبع))[٥].

(٥) تكوين ١: ٢٢ -١٩؛ وفي التوراة السامرية وردت القصة مشابهة للعبرية، عدا بعض الاختلافات في الترجمة مثلا جاء ((خذ ابنك خصيصك)) بدل وحيدك ينظر: النص الكامل للتوراة السامرية باللغة العربية مع مقدمة تحليلية ودراسة مقارنة بين التوراة السامرية والعبرانية، ترجمة الكاهن السامري، ابو الحسن اسحاق الصوري، نشرها وعرّف بها د. احمد حجازي السقا، مطبعة دار البيان، القاهرة، ١٩٧٨، ١: ٢٢-١٩؛ ينظر كذلك:
The New Encyclopaedia Britannica، «Isaac»، Vol. 6، p. 394.

ومنها ثانياً: ما جاء في الانجيل في الرسالة الى العبرانيين ((بالايمان قدم ابراهيم اسحاق وهو مجرب، قدّم الذي قبل الموعد وحيده، الذي قيل له انه باسحاق يدعى لك نسل، إذ حسب ان الله قادر على الاقامة من الاموات ايضا))[٦]، ومنها ثالثا: ان اسحاق قد ولد بطريقة خارقة للطبيعة ((وقالوا له اين سارة امراتك، فقال هاهي في الخيمة، فقال اني ارجع اليك نحو زمن الحياة ويكون لسارة امراتك ابن، وكانت سارة سامعة في باب الخيمة وهو وراءه، وكان ابراهيم وسارة شيخين متقدمين في الايام، وقد انقطع ان يكون لسارة عادة كالنساء، فضحكت سارة في باطنها قائلة أَبَعْدَ فنائي يكون لي تنعُّم وسيدي قد شاخ، فقال الرب لابراهيم لماذا ضحكت سارة قائلة الحقيقة ألد وانا قد شخت... هل يستحيل على الرب شيء، في الميعاد ارجع اليك نحو زمن الحياة ويكون لسارة ابن، فانكرت سارة قائلة لم اضحك، لأنها خافت، فقال لا بل ضحكت))[٧]، وان أُعْطِيَ اسماً قبل ان تحمل به امه[٨]، ((فقال الله بل سارة امرأتك تلد لك ابناً وتدعو اسمه اسحاق، واقيم عهدي معه عهداً ابديا لنسله من بعده))[٩] ويصبح في بطنها جنيناً، بل ان (ماير) يرى ان هناك فوارق كبيرة بين ولدي ابراهيم، فقد كان اسماعيل ابن الجارية، واما اسحاق فقد كان ابن الزوجة الشرعية لابراهيم، بل ان التعصب الاعمى يقوده الى امر يبتعد عن الحق حداً بحيث يرى ان اسحاق ارفع قدراً من اسماعيل بدرجة لا تترك مجالاً للمقارنة بينهما[١٠].

(٦) الرسالة الى العبرانيين ١١: ١١ -١٩.

(٧) تكوين ١٨: ٩ -١٥؛ وينظر كذلك ما جاء في رسالة يعقوب ٢٠: ٢ -٢٣؛ فنكلشتاين، إسرائيل، سيلبرمان، نيل اشر، التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها، ترجمة سعد رستم، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ٢٠٠٧، ص٥٧.

(٨) سعيد، حبيب، خليل الله في اليهودية والمسيحية والاسلام، دار التأليف والنشر للكنيسة الاسقفية، القاهرة، (د. ت)، ص٩٧.

(٩) تكوين ١٩: ١٧.

(١٠) ماير، ف. ب، حياة إبراهيم وطاعة الإيمان، ترجمة القس مرقص داود، ط٢، مكتبة

هذا الى جانب بعض الروايات الاسلامية عن كعب الاحبار -هو من مُسلِمة اهل الكتاب الذين كان لهم الاثرالكبير في نشر الاسرائيليات في كتب التفسير -من ان الذي أُمِر ابراهيم بذبحه انما كان اسحاق[11]، ويذكر ابن كثير: ((فأنه لما اسلم في الدولة العمرية، جعل يحدث عمر رضي الله عنه عن كتبه قديماً، فربما استمع له عمر رضي الله عنه، فترخص الناس في استماع ما عنده ونقلوا عنه، غثها وسمينها، وليس لهذه الامة -والله اعلم -حاجة الى حد حرف واحد مما عنده))[12].

قام شراح العهد القديم ومفسروه بعرض حادثة الذبيح كما وردت في سفر التكوين، ويمكن الاشارة الى بعض كلامهم: ان الامر الالهي الذي صدر الى ابراهيم في كلمات عصرت قلب ذلك الأب عصرا قاسيا بالحزن والألم إذ قال له: (خذ ابنك وحيدك الذي تحبه اسحاق وأصعِده المحرقة)، لقد كان اسحاق هو وارث البركة الموعود بها، ولو مات مثل هذا الابن في حادثة او بمرض لتمزق قلب ابيه المحب وكان رأسه الأشيب ينحني تحت ثقل الاحزان، لكن امر الله كان بأن يسفك دم ذلك الأبن بيده[13]،

المحبة، شركة هارموني للطباعة، القاهرة، ١٩٦٠، ص ص٨٤ -٨٥.

(١١) ينظر: ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري(ت٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، (د. ت)، ص٣٦؛ الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، تاريخ الرسل و الملوك، دار الكتب العلمية بيروت، (د. ت)، ج١، ص١٥٩؛ الطوسي، محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م)، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق احمد حبيب العاملي، مطبعة مكتب الاعلام الاسلامي، قم، ١٤٠٩ه، ج٨، ص٥١٨؛ ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد(ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار صادر، بيروت، ١٣٥٨هـ، ج١، ص٢٧٨؛ ابن الاثير، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، تحقيق عبد الله القاضي، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ، ج١، ص ص٨٤ -٨٥.

(١٢) ابو الفدا إسماعيل (ت ٧٧٤ هـ/ ١٣٧٢م)، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٢هـ، ج٤، ص١٩.

(١٣) هوايت، ألن، الصراع العظيم في سيرة الآباء والانبياء، ترجمة فرج الله اسحاق،

وفي معنى قول ما جاء في سفر التكوين (الله امتحن ابراهيم) اي امتحن ايمانه وطاعته لان هذا الاب تقضى عليه في ارض الغربة الفلسطينية خمس وعشرون سنة كان يرى فيها تأخر اتمام الوعد على توالي الايام ومع ذلك لم يتزعزع ايمانه، ثم ولد ابنه ووريثه وحمل حزناً وألماً شديداً على فراق اسماعيل ثم نسى ألم فراقه باسحاق وشعر انه حصل على السعادة في شيخوخته، وكان في سلام مع جيرانه وكانت مواشيه كثيرة، ومراعيه واسعة وعرف ان اسماعيل قوى ونجح، ورأى اسحاق ينمو سريعا ويتقدم الى الرجولية، وفي اثناء هذه الراحة والاطمئنان آتته التجربة الشديدة في احدى الليالي وهي امر الله اياه ان يذبح ابنه اسحاق، وكان على ابراهيم ان يطيع الامر، فكيف يصدق ان الرب (يهوه) إله العهد الصادق يأمره بذلك[١٤].

هذا واذا كانت التوراة قد ذكرت الجبل الذي امر الله ابراهيم ان يذبح ابنه فوقه هو (جبل المريا) او (ارض المريا) فان مفسري العهد القديم وشراحه قد اختلفوا في تعيين هذا الجبل، ومعرفته على سبيل التحديد، فقد جاء معنى (المريا) إما (الرب علم) واما (الرب معد أوراء)، فإذا كان المعنى الثاني هو المقصود هنا فيكون المكان سمى بالمريا من الحادثة ويكون المعنى: المكان الذي فيه (الرب يعد أو يرى خروف المحرقة)[١٥].

فيما يذهب رأي آخر الى ان ذلك المكان هو (مورة) في شكيم (نابلس) وان الذبيحة قدمت في السامرة، وكان المذبح طبيعياً وهو قنة الجبل جرزيم[١٦]،

دار الشرق الاوسط للطبع والنشر، بيروت، ١٩٨١، ص١٢٥.

(١٤) مجمع الكنائس في الشرق الادنى، السنن القويم في تفسير اسفار العهد القديم (مبني على اراء عدد من اللاهوتيين)، مطبعة مجمع الكنائس الشرقية، بيروت، ١٩٧٣، ج١، ص ص١٥٦ -١٥٧؛ ينظرايضا:
The New Encyclopaedia Britannica، «Abraham»، Vol. 1، p. 37.

(١٥) مجمع الكنائس، السنن القويم، ج١، ص١٥٧ -١٥٨.

(١٦) جرزيم: جبل صخري، منحدر يكون الحد الجنوبي للوادي الذي تقع فيه شكيم (نابلس الآن) وهو يواجه جبل عيبال في الجانب الشمالي من الوادي، بني عليه

لكن ابراهيم واسحاق وصلا المكان في اليوم الثالث، وكون جبل جرزيم بعيداً جداً عن بئر سبع، يمنع قبول هذا القول، وعلى هذا يرجح انه قرب اورشليم لأنها تبعد نحو ثلاث مراحل-أي سيراً نحو احدى وعشرين ساعة، ثم ان الموضع الذي ذهب اليه ابراهيم، ارض لم يكن يعهدها إذ لم يسم الله له الجبل بل قال له الجبل الذي اقول لك، واما شكيم فكان يعرفها، ويعرف اسماء جبالها لأنه سكنها؛ واستدل ايضاً على ما ذهب اليه من قول كاتب سفر التوراة (في اليوم الثالث رفع ابراهيم عينيه وابصر الموضع من بعيد) فقال: قنة الجبل المدعو بجبل المبيت وجبل الموريا ما كانت ترى للمسافر من بئر سبع إلا على أمد نحو ثلاثة اميال، فاذا كان دونه كثير من التلال الحاجزة ولعل هذا هو البعد المقصود هنا لا أكثر منه، فإن ابراهيم كما جاء في التوراة -ترك الغلامين هناك ووضع الحطب على اسحاق وذهبا الى هنالك راجلين-اي ماشيين على الأرجل، ولو كان جبل جرزيم، ما استطاع اسحاق ان يحمل الحطب من حيث يبدو للنظر[١٧].

وجاء معنى (مريا) في قاموس الكتاب المقدس: انها اسم سامي ربما كان معناه (رؤيا) ويطلق على:

١. ارض اوصى الرب ابراهيم ان يصعد اليها ويقدم ابنه على اكمة منها وهي منطقة اورشليم.
٢. الجبل الذي بنى سليمان عليه الهيكل في اورشليم وكان في القسم الشرقي من المدينة الحاضرة يشرف على وادي قدرون، وكان الى الشمال من صهيون، ولما بنى الهيكل على قمة هذه الأكمة بنيت اسوار من جوانب الاودية الى الجهات الاربع حوله، ثم يقول صاحب القاموس ان

الهيكل السامري في عام ٤٣٢ق. م وهدم هـذا الهيكل سنة ١٢٨ ق. م وقـد صار جبل جزريم مقدساً عند السامريين، ينظر: مجمع الكنائس الشرقية، قاموس الكتاب المقدس، ط٦، منشورات مكتبة المشعل، بيروت، ١٩٨١، ص٢٥٨.

(١٧) الزغبي، فتحي محمد، قصة الذبيح عند اهل الكتاب والمسلمين، دار البشير للثقافة والعلوم، طنطا، ١٩٩٤، ص ص٢٨ -٢٩.

الأكثرين يظنون ان موضع الهيكل هو الموضع نفسه الذي أمر فيه الله ابراهيم ان يستعد لتقديم اسحاق ذبيحة غير ان التقليد السامري يقول ان موضع مذبح ابراهيم كان على جبل جرزيم[١٨] ولهذا يقول هارفي ان بعضهم يظن ان جرزيم هو المذبح، والأرجح ارض المريا حيث بُنيَ هيكل سليمان[١٩].

وهكذا يبدو مما تقدم ان اليهود فيما بينهم قد اختلفوا في المكان الذي يذكرون ان اسحاق قد هيء للذبح فيه، وهذا يعني ان المسألة غير مؤكدة لهم وهي ما زالت في حدود الافتراضات والتكهنات وغير محسومة بعد.

وبعد ان استعرضنا النصوص الواردة في سفر التكوين، والتي يعتمد عليها اليهود، نلاحظ ان التوراة انما تصف الذبيح بأنه ابن ابراهيم الوحيد، وقد كررت هذا الوصف ثلاث مرات ((خذ ابنك وحيدك))[٢٠]، و ((فلم تمسك ابنك وحيدك عني))[٢١]، واخيراً ((لم تمسك ابنك وحيدك))[٢٢] مع ملاحظة اخرى ان كلمة (اسحاق) اضيفت الى كلمة وحيدك في المرة الاولى فقط، واما في المرتين الثانية والثالثة ذكرت كلمة وحيدك فقط دون ان تقترن بكلمة اسحاق[٢٣]. ولكن هل ان هذا الوصف ينطبق على اسحاق؟. والجواب انه وصف لا ينطبق ولا يمكن-بحال من الاحوال -ان ينطبق على غير اسماعيل وحده في السنوات الاربعة عشر الاولى من عمره، والتي سبقت مولد اسحاق، فمن خلال نصوص التوراة نفسها نجد ان اسحاق ولد بعد اسماعيل لأن سارة كانت عاقراً لا تلد[٢٤]، فعرضت سارة على ابراهيم الزواج من جاريتها

(١٨) قاموس الكتاب المقدس، ص٢٥٨؛ ينظر:
The New Encyclopaedia Britannica، "Abraham"، Vol. 1، p. 37

(١٩) بورتر، هارفي، موسوعة مختصر التاريخ القديم، تعريب ابراهيم افندي حوراني، مطبعة مدبولي، القاهرة، ١٩٩١، ص١١٣.

(٢٠) تكوين ٢: ٢٢.
(٢١) تكوين ١٢: ٢٢.
(٢٢) تكوين ١٦: ٢٢.
(٢٣) الزغبي، قصة الذبيح، ص٣٥.
(٢٤) تكوين ١: ١٦ -٢.

هاجر((فولدت هاجرلابرام ابنا ودعا ابرام اسم ابنه... اسماعيل، وكان ابرام ابن ست وثمانين سنة...))[٢٥].

واذا كان ابراهيمعليه السلام لم يولد له اسماعيلعليه السلام إلا وهو في السادسة والثمانين من عمره، فإن اسحاقعليه السلام لم يولد لأبراهيم إلا بعد ان بلغ المائة سنة من عمره، كما ذكرت التوراة ذلك: ((وكان ابراهيم ابن مائة سنة حين ولد له اسحاق ابنه))[٢٦]، أي بحسب ما جاء في التوراة يكون اسماعيل قد بلغ الرابعة عشر من عمره اثناء ولادة اسحاق.

وعند ذكر التوراة ختان ابراهيم لإسماعيل تقول ان عمر اسماعيل كان ثلاث عشرة سنة حينما ختنه ابوه ابراهيم، وكان ذلك عندما بُشّر ابراهيم بإسحاق قبل ان تحمل به سارة وكان عمره تسعاً وتسعين سنة: ((فقال الله بل سارة امراتك تلد لك ابناً وتدعو اسمه اسحاق.. وكان ابراهيم ابن تسع وتسعين سنة... وكان اسماعيل ابنه ابن ثلاث عشرة سنة حين ختن في لحم غرلته))[٢٧].

وانطلاقاً من هذا فان اسحاق لم يكتب له في يوم من الايام ان يكون وحيد ابراهيم إذ عاش اسماعيل في هذه الدنيا، ولم يتحقق هذا الوصف الإبن الوحيد لإبراهيم إلا بموت اسماعيل في حياة ابيه ابراهيم، ولكن نصوص التوراة تخبرنا بأن اسماعيل كان موجوداً اثناء حفلة فطام اسحاق: ((فكبر الولد وفطم، وصنع ابراهيم وليمة عظيمة يوم فطام اسحاق، ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لإبراهيم يمزح))[٢٨]، كما تشير الى اشتراكه مع اسحاق في دفن ابراهيمعليه السلام بعد وفاته بمغارة المكفيلة: ((ودفنه اسحاق واسماعيل ابناه في مغارة المكفيلة في حقل عفرون بن صوحر الحثي))[٢٩].

(٢٥) تكوين ١٥: ١٦ -١٦.
(٢٦) تكوين ٥: ٢١.
(٢٧) تكوين ١٩: ١٧، ٢٤ -٢٥.
(٢٨) تكوين ٨: ٢١ -٩.
(٢٩) تكوين ٩: ٢٥؛ كذلك ينظر:
The New Encyclopaedia Britannica، »Abraham»، Vol. 1، p. 37

نلاحظ ان التوراة في هذا النص تقدم اسحاق على ذكر اسماعيل وهو امر مقصود، وإلا كان الاولى ان يقدم اسماعيل على اعتباره اكبر ابناء ابراهيم، وهكذا لم يكن اسحاق ابداً وحيداً مع وجود اسماعيل، اما اسماعيل فقد كان وحيدا قبل مولد اسحاق وطوال اربعة عشر عاماً. ويتضح من خلال النص ان ابناء النبي ابراهيم عليه السلام من (قطورة) لايوجد لهم ذكر هنا؛ وهذا ما يشهد ايضاً بالمكانة المميزة التي لاسماعيل عليه السلام الى جانب اسحاق عليه السلام[٣٠].

ومعنى ذلك ان حادثة الذبح هذه قد جرت حوادثها في هذه المدة-اي التي كان اسماعيل عليه السلام وحيد ابيه ابراهيم- وكان بطلها اسماعيل وليس اسحاق، كذلك ان وصف الإبن الوحيد لا ينطبق على اسحاق بأي صورة من الصور، وان كلمة اسحاق لا تتلاءم مع هذا الوصف، وانها اقحمت إقحاماً، وحشرت حشراً على النص، ونرى الصنعة العنصرية المرحلية قد لعبت دوراً كبيراً، ولازمت ظروف التدوين لأسفار العهد القديم، وهنا قد حشرت اسم اسحاق الأب الذي انتسب اليه بعد ذلك الاسرائيليون واليهود، وخلعوا كل قيم الميراث الاجتماعي والاخلاقي والديني المدعى على اسحاق الاب الأعلى للاسرائيليين حين ارادوا ان يخلعوا على اسحاق قداسة المواقف البطولية التي كانت بين ابراهيم وبين وحيده، وبكره الحقيقي اسماعيل الذي رزق به ابراهيم، وكان وحده ولم يكن له من أخ مدة طويلة، وان محاولة خلق علاقة خاصة بين الولد اسحاق وابيه ابراهيم يحرم منها الولد الاكبر لينفرد بها اسحاق دون غيره واضحة في القصد والزيف[٣١].

يبدو ان الذي حمل اليهود على هذا انما هو حسد العرب ابناء اسماعيل،

(٣٠) لاوت، رينهارد، ابراهيم وابناء عهده مع الله، ترجمةغانم هنا، خطوات للنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٦، ص١٧٢.

(٣١) الشمري، نهاد حسن، اليهود بين النصوص المسمارية وأسفار العهد القديم، دراسة مقارنة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية اللغات، جامعة بغداد، ٢٠٠٥، ص٦٩.

وحرصاً من اليهود على جعل هذه الفضيلة (الذبيح) الذي جاد بنفسه في طاعة الله وهو صغير لإسحاق وحده[٣٢]، وهكذا نلاحظ ان حشر كلمة اسحاق في النص جعله لا يتفق مع وصف الابن الوحيد واوجدت تناقضا بين كون الابن الذبيح وحيد ابراهيم وبين كونه اسحاق[٣٣]. و ما يؤيده ان التوراة عندما تحدثت عن الذبيح وصفته بأنه (وحيدك) دون ان تقرنه بكلمة اسحاق، وما يؤكد اضافة كلمة اسحاق يذكر احد الباحثين قائلا: نستطيع الآن ان نقطع يقينا بان كلمة (اسحاق) قد اضيفت عقب (ابنك وحيدك) وذلك بمراجعة التلمود الذي يذكرهذه الفقرة خالية من كلمة اسحاق[٣٤]. ومنها ما جاء في انجيل برنابا على لسان السيد المسيح عليه السلام: ((صدقوني لأني اقول لكم الحق ان العهد صنع باسماعيل لا باسحاق))[٣٥]، وجاء في بداية الفصل الرابع والاربعين: ((حينئذ قال التلاميذ يا معلم هكذا كتب في كتاب موسى ان العهد صنع باسحاق اجاب يسوع متأوهاً هذا هو المكتوب ولكن موسى لم يكتبه ولا يشوع بل احبارنا الذين لا يخافون الله الحق اقول لكم انكم اذا امعنتم النظر في كلام الملاك جبريل تعلمون خبث كتبتنا وفقهائنا لأن الملاك قال يا ابراهيم سيعلم العالم كله كيف يحب الله ولكن كيف يعلم العالم محبتك لله حقا، يجب عليك ان تفعل شيئا لأجل محبة الله، اجاب ابراهيم ها هوذا عبد الله

(٣٢) ابن قيم الجوزية، محمد بن ابي بكر بن ايوب(ت٧٥١هـ/ ١٣٥٠م)، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب الارناؤوط وعبد القادر الارناؤوط، ط١٤، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الاسلامية، بيروت، الكويت، ١٩٨٦، ج١، ص٣٢.

(٣٣) مهران، محمد بيومي، بنو إسرائيل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩، ج١، ص١٣٢؛ البدراوي، رشدي، قصص الأنبياء والتاريخ، مطبعة انترناشيونال، القاهرة، ١٩٩٧، ج٢، ص٣٥٤.

(٣٤) عبد الوهاب، احمد، فلسطين بين الحقائق والاباطيل، الناشرمكتبة وهبة، مطبعة الاستقلال الكبرى، القاهرة، ١٩٧٢، ص ص٥٠-٥١.

(٣٥) انجيل برنابا، تحقيق سيف الله احمد فاضل، ط٢، دار القلم، الكويت، ١٩٨٣، نهاية الفصل الثالث والاربعن.

مستعد ان يفعل كل ما يريد الله، فكلم الله حينئذ ابراهيم قائلا: خذ ابنك بكرك اسماعيل واصعد الجبل لتقدمه ذبيحة، فكيف يكون اسحاق البكر وهو لما ولد كان اسماعيل ابن سبع سنين فقال حينئذ التلاميذ ان خداع الفقهاء لجلي لذلك قل لنا انت الحق))[٣٦].

ومما يزيد التوكيد حول اضافة كلمة اسحاق ان النسخة العبرية تشتمل على كلمة (بكرك) بدلا من (وحيدك)، وهذا يؤكد صدق ما جاء في انجيل برنابا وان النسخة الاصلية كان فيها ان الذبيح اسماعيل، ثم رفعت هذه الكلمة ووضعوا محلها كلمة اسحاق[٣٧]. ومما لاشك فيه ان كلمة بكرك هي اكثر دلالة واكثر تحديدا من كلمة وحيدك على اعتبار ان الوحيد ربما يكون بكراً وربما غير ذلك على افتراض موت البكر او سفره، والدلائل كلها تشير الى ان اسحاق لم يكن يوماً ما وحيد ابراهيم، ولم يكن بكره، وانما ينطبق هذا الوصف تماماً ولمدة اربعة عشر عاماً على اسماعيل قبل ولادة اسحاق وهي المدة التي من المرجح ان تكون حادثة الذبح جرت فيها.

واذا كنا قد بينا بالدلائل ومن خلال التوراة نفسها ان اسماعيل هو الذي ينطبق عليه وصف الابن الوحيد ووصف الابن البكر، يبقى الآن أن نشير الى قول التوراة عن الذبيح (الذي تحبه) والذي ينطبق كذلك على اسماعيل وانه هو الأجدر بأن يجمع بين هذه الاوصاف، الثلاثة معاً، الوصف بأنه الابن الوحيد لإبراهيمﷺ والبكر والابن الذي يحبه، ولا يعني هذا ان ابراهيمﷺ لم يكن يحب اسحاقﷺ حاشا ان يكون نبي الله كذلك ولكن كان يحبه وفرح به قبل ان يولد حين بشر به ولكن ابراهيم كان يحب اسماعيل اكثر لأنه وحيده طوال اربعة عشر عاماً، بحسب ما جاء في التوراة وهو امر طبيعي وفطري ان الاب يخص ابنه البكر بمحبة تتفوق على اخوته الباقين.

(٣٦) انجيل برنابا، بداية الفصل الرابع والاربعين.
(٣٧) الزغبي، قصة الذبيح، ص٣٩.

التوراة تخبرنا عن محبة ابراهيم لإسماعيل، وبشكل بارز بحيث ان كتبة التوراة لم يتمكنوا من اخفاء هذا الحب او اخفاء الوقائع الدالة عليه، فهي تخبرنا عن ظهور الرب لإبراهيم بعد مولد اسماعيل بثلاثة عشر عاما ليؤكد له العهد ويجعل الختان علامة ويبارك ابراهيم والصالحين فقط من نسله ويبشره بإسحاق وليداً من سارة: ((ولما كان ابرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لأبرام وقال له: انا الله القدير سر امامي وكن كاملاً، فاجعل عهدي بيني وبينك واكثرك كثيراً جداً... واقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في اجيالهم عهداً ابدياً... يختن منكم كل ذكر... فيكون علامة عهد بيني وبينكم... قال الله لابرام ساراي امرأتك لا تدعو اسمها ساراي بل اسمها سارة واباركها واعطيك منها ابنا... وقال ابراهيم لله ليت اسماعيل يعيش امامك))[٣٨]، يبين احد الباحثين ان النبي ابراهيم عليه السلام لم يستطع ان يتصور ذلك نظراً لوضع سنه وسن زوجته ايضا، وفكر بأن اسماعيل هو الذي سيكون حامل الوعد، فخاطب الله تعالى قائلاً (ليت اسماعيل يعيش امامك) لكن كما يشير الباحث، الله يجيب سيكون ابن سارة هو من يقيم العهد معه، وليس اسماعيل ولم يذكر السبب في ذلك[٣٩]. وعلى الرغم من ان الله سبحانه وتعالى يخبر ابراهيم، ويبشره بولد من سارة سيكوّن امماً وشعوباً منها إلا ان ابراهيم ما زال شغله الشاغل اسماعيل عليه السلام ، ولهذا نشاهد من خلال النص ان ابراهيم حاول اغتنام هذه الفرصة مع الرب ليسأل الله سبحانه، ان يبارك لإسماعيل ويجعله تحت رعايته، وقد استجاب الله طلب ابراهيم، ووعده خيراً في اسماعيل، كما تصرح التوراة بذلك: ((واما اسماعيل فقد سمعت لك فيه، انا اباركه واثمره واكثره كثيرا جدا، اثني عشر رئيسا يلد واجعله امة كبيرة))[٤٠].

(٣٨) تكوين ١: ١٧ -١٨.

(٣٩) لاوت، ابراهيم وابناء عهده مع الله، ص١٦٦.

(٤٠) تكوين٢٠: ١٧.

يبدو ان ابراهيم على الرغم من وجود ولديه اسماعيل واسحاق كان يمكن ان يتعزى بولده اسحاق حين مفارقة اسماعيل، إلا ان سارة بطلبها من ابراهيم طرد اسماعيل قد ازعجه كثيراً، واستاء كثيراً لان الأمر يتعلق بمستقبل ابنه الذي يحبه اسماعيل، وهو الابن المقرب لقلب ابيه[٤١].

يتضح مما تقدم انه على الرغم من كل المحاولات التي حاول فيها كتبة التوراة من ابعاد اسماعيل عن حضرة ابيه لم يستطع هؤلاء من حجب الحقيقة الناصعة التي تشير الى العلاقة الحميمة بين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام .

من التناقضات التي صرح بها اليهود والنصارى، وحاولوا فيها تبرير اطلاق البكورية، والواحدية على اسحاق دون اسماعيل عليهما السلام ، فقد عللوا ذلك بزعمهم ان البكورية قد سقطت عن اسماعيل بسبب ان امه كانت جارية، وبهذا يكون اسحاق هو البكر، لكن هذا الادعاء يسقط امام ما جاءت به كتبهم نفسها التي اثبتت البكورية لصاحبها سواء كانت امه متساوية مع ام اخيه أوكانت دونها في المنزلة: ((اذا كان لرجل امرأتان إحداهما محبوبة والاخرى مكروهة فولدتا له بنين المحبوبة والمكروهة، فان كان الابن البكر للمكروهة، فيوم يقسم لبنيه ما كان له لا يحل له ان يقدم ابن المحبوبة بكراً على ابن المكروهة البكر، بل يعرف ابن المكروهة بكراً ليعطيه نصيب اثنين من كل ما يوجد عنده لانه هو اول قدرته له حق البكورية))[٤٢]، كانت الشريعة اليهودية تهتم بالإبن البكر، وكانت بداوة العبريين القديمة تجعله خليفة لأبيه في كل شيء، يستولي على السلطة من بعده، ويكون هو المتصرف في كل ثروته[٤٣].

على الرغم من ذلك إلا ان العصبية العنصرية من جديد تجلت في التشريعات

(٤١) عبد الوهاب، فلسطين بين الحقائق والاباطيل، ص ص٤٦ -٤٨.

(٤٢) التثنية، ١٥: ٢١ -١٧.

(٤٣) ظاظا، حسن، الفكر الديني الاسرائيلي اطواره ومذاهبه، معهد البحوث والدراسات العربية، الاسكندرية، ١٩٧١، ص٢٣٦.

الخاصة بالابن البكر فجاءت المادة (٥٠٢) من التشريعات اليهودية: (ان البكر من الجارية او الاجنبية لايمنع البكورة من الاسرائيلية بعدها) وهذا الاجتهاد من فقهاء التلمود مقصود به تزييف حق العرب وجدهم اسماعيل عليه السلام في النسبة والميراث والبكورة من النبي ابراهيم عليه السلام، وعلى الرغم من ولادة اسماعيل قبل اسحاق، ومع انه الابن البكر لإبراهيم لكنه مولود من هاجر الجارية المصرية، ولهذا افتى التلموديون بثبوت البكورة للإبن الأصغر اسحاق، وان تأخر في الولادة لإنه سليل الزوجة التي توصف بأنها عبرية، وهي سارة وكان لابد لهم من ذلك الاجتهاد لأن بدونه لا تستقيم نظريتهم بانهم شعب الله المختار[٤٤]. يبدو ان اليهودي بنظرهم من كانت أمه يهودية، وحتى هذا الامر لا يستقيم كثيراً فالمعروف وباعتراف التوراة نفسها، ان سارة عراقية جاءت من العراق بعد هجرة ابراهيم عليه السلام فضلاً عن ان تاريخ ابي الانبياء شيء، وتاريخ اليهود كما يزعمون شيء آخر، لأن الفارق الزمني كبير جداً بين زمن ابراهيم وخروج اليهود على مسرح الاحداث.

ومهما يكن فان حق البكورية ثابت ومقدس ولا يزول اذا ما كانت الزوجة محبوبة او مكروهة، وحتى في حالة ادعائهم ان هاجر لم تكن زوجة لإبراهيم، وذلك لغرض التقليل من شخصية هاجر ام اسماعيل، واعتبارها سرية من سراريه فان التوراة تصرح ان هاجر هي زوجة لإبراهيم حالها حال بقية ازواجه الأخر: ((فاخذت ساراي امرأة ابرام هاجر المصرية جاريتها... واعطتها لابرام رجلها زوجة له))[٤٥]، كما اخبرتنا التوراة كذلك عن يعقوب عليه السلام الذي جمع بين ليئة وراحيل وزلفة وبلهة وكان منهن ابناؤه الاثنا عشر. فزوجة يعقوب الثانية (راحيل) بعد ان وجدت نفسها عقيمة لا تلد، طلبت من يعقوب زوجها ان يدخل بجاريتها(بلهة): ((فأعطته بلهة جاريتها زوجة فدخل عليها يعقوب))[٤٦] والشيء

(٤٤) ظاظا، الفكر الديني الاسرائيلي، ص٢٣٧.

(٤٥) تكوين ٣: ١٦.

(٤٦) تكوين١: ٣٠-٤.

نفسه حدث مع ليئة، زوجة يعقوب الاولى إذقدمت جاريتها زوجة ليعقوب: ((ولما رأت ليئة انها توقفت عن الولادة اخذت زلفة جاريتها واعطتها ليعقوب زوجة))[٤٧]. وهكذا فإن هاجر زوجة ابراهيم وام اسماعيل عليهما السلام يتساوى ولدها مع ولد غيرها من نساء النبي ابراهيم، ومنهن سارة لا كما يزعم بولس ((انه كان لابراهيم ابنان واحد من الجارية والآخر من الحرة، لكن الذي من الجارية ولد حسب الجسد واما الذي من الحرة فبالموعد))[٤٨]، فضلاً عن ان هاجر لم تكن جارية كما يحاول اليهود والنصارى الصاق ذلك بها والتقليل من شأنها، بل ربما انها اميرة او من بنات الامراء المصريين كما في بعض المصادر[٤٩].

كما ان التوراة نفسها تشير الى مكانة هاجر عند الرب، فقد تحدثت مرتين عند مناداة ملاك الرب لها، ومخاطبتها بكلام الله، كانت المرة الاولى بعد هروب هاجر من وجه سارة: ((فوجدها ملاك الرب على عين الماء في البرية... وقال يا هاجر جارية ساراي من اين اتيت... وقال لها ملاك الرب ها انت حبلى فتلدين ابنا، وتدعين اسمه اسماعيل...))[٥٠]، نلاحظ تركيز اليهودعلى وصف هاجر بالجارية حتى في مخاطبة الرب لها. واما في المرة الثانية فكان ذلك بعد ان تركها ابراهيم هي وابنها مضت وتاهت في البرية: ((ولما فرغ الماء من القربة طرحت الولد تحت احدى الاشجار... ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها مالك يا هاجر، لاتخافي لان الله سمع لصوت الغلام حيث هو، قومي احملي الغلام...))[٥١]، والتوراة هنا تخبرنا بان هاجر نبية او صدّيقه مباركة أوحى الله إليها، وكلمها وبشرها بنبوة ولدها اسماعيل، بل قد مدح الله اسماعيل وأخبر بما لم يخبربه عن اسحاق[٥٢].

(٤٧) تكوين٩: ٣٠.
(٤٨) الرسالة الى اهل غلاطية ٢٢: ٤ -٢٣.
(٤٩) للمزيد حول اصل هاجر ام اسماعيل ينظر: مهران، بنو اسرائيل، ج١، ص١٦٨-١٧١.
(٥٠) تكوين ٧: ١٦ -١٤.
(٥١) تكوين ١٥: ٢١ -١٨.
(٥٢) القرطبي، محمد بن احمد الأنصاري (ت٦٧١هـ/ ١٢٧٢م)، الإعلام بما

واما ما جاء في الروايات الاسلامية نقلاً عن كعب الاحبار وغيره، فهذا يرجع الى ان المسلمين انما يؤمنون بنبوة اسحاق ويعقوب ويوسف، ومن هنا استغل هذا بعض اليهود من الذين اسلموا، ومنهم كعب الاحبار ووهب بن منبه، فقاموا بنشر الكثير من الاسرائيليات[٥٣]، ونقلوا الكثير منها الى كتب التفسير، خصوصا ان تلك الروايات لم يتناولها القرآن الكريم، تحقيقا لأغراض خاصة بهم، وقد نقل الكثير من المفسرين آراء اليهود ورواياتهم الى كتبهم دون التثبت من صحتها، حتى ان الخلفاء الراشدين كانوا ينهون كعب الاحبار عن الافاضة في روايته واساطيره ونقل البخاري قول معاوية ابن ابي سفيان في كعب الاحبار((وان كنا مع ذلك نبلوا عليه الكذب))[٥٤]. ثم ان الروايات الاسلامية مضطربة فبينما ينسبها اصحابنا الى ابن عباس، فانهم يروون رواية اخرى عن ابن عباس نفسه يذهبون فيها الى ان الذبيح انما هو اسماعيل عليه السلام[٥٥].

ومن ملاحظاتنا على آراء وحجج اليهود والنصارى ان ما جاء في

في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، تحقيق د. احمد حجازي السقا، دارالتراث العربي، القاهرة، ١٣٩٨هـ، ص٢٣٢.

(٥٣) العقاد، ابراهيم ابو الانبياء، ص٧٧؛ للمزيد عن دخول الاسرائيليات في كتب التفسير ينظر: مهران، تاريخية من القرآن الكريم، ط٢، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٨، ج١، ص١٠٥ -١١١.

(٥٤) البخاري، محمد بن إسماعيل(ت٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)، صحيح البخاري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ، ج٨، ص١٦٠؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٣، ص١٠٦-١٠٧؛ العقاد، ابراهيم ابو الانبياء، ص٧٨.

(٥٥) الطبري، محمد بن جرير(ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ضبط وتوثيق وتخريج، صدقي جميل العطار، مطبعة دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ، ج٢٣، ص٩٨ -٩٩؛ ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن محمد (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)، زاد المسير، تحقيق محمد بن عبد الرحمن عبد الله، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٧هـ، ج٦، ص٣٠٣؛ القرطبي، محمد بن احمد الأنصاري(ت ٦٧١هـ/ ١٢٧٢م)، الجامع لأحكام القرآن، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ، ج١٥، ص١٠٠.

الانجيل-في الرسالة الى العبرانيين -فقد اعتبر فقهاء المسيحية الحل للخروج من مشكلة، كيف يؤمر ابراهيم بذبح اسحاق، وهو الابن الموعود والذي سيخرج منه الشعب المختارحسب ما جاء في التوراة ((باسحاق يدعى لك نسل))[٥٦]، فلو ان اسحاق كبر وتزوج وانجب اولاداً لحلت المشكلة واستمر النسل في الاجيال القادمة، لكن يتفق ان يموت اسحاق وهو لم يكن له ولد وكيف يتحقق الوعد الذي اعطي لابراهيم بأن يكون نسل اسحاق كرمل البحر او كنجوم السماء[٥٧].

اما ما يحتج به اليهود والنصارى في ان اسحاق ولد للحياة بطريقة المعجزة، وانه اعطي اسماً وهو لم يأتِ الى الحياة، ولعلهم يقصدون ولادة اسحاق بطريقة المعجزة الخارقة للعادة ولادته لابراهيم وهو شيخ في المائة من عمره وزوجته سارة عجوز في التسعين من عمرها كما تقول التوراة((... وقال في قلبه هل يولد لإبن مئة سنة وهل تلد سارة وهي بنت تسعين سنة))[٥٨]، وهو قول ابراهيم عليه السلام بعد ان بشر باسحاق، والشيء نفسه حدث في ولادة اسماعيل فإنه ولد لإبراهيم، وهو في السادسة والثمانين من عمره، وهو قول التوراة ((كان ابرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر اسماعيل لابرام))[٥٩]، وهذا امر صحيح حتى ان القرآن الكريم لايختلف كثيراً في هذه النقطة مع التوراة، إذ يقول تعالى على لسان ابراهيم: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾[سورة ابراهيم: ٣٩]، والمفروض ان ما ينطبق على اسحاق ينطبق تماماً على اسماعيل هذا من جانب، ومن جانب اخر فإن التوراة تذكر لنا ان ابراهيم قد تزوج، وهو في السابعة والثلاثين بعد المائة من قطورة، وذلك بعد موت سارة وأنجب منها ستة بنين كما اخبرتنا التوراة ((وعاد

(٥٦) تكوين، ١٢: ٢١.
(٥٧) ماير، حياة ابراهيم، ص١٣٦.
(٥٨) تكوين١٧: ١٧.
(٥٩) تكوين١٦: ١٦.

ابراهيم فأخذ زوجة اسمها قطورة، فولدت له زمران ويقشان...))[٦٠]، هذا فضلاً عن وجود زوجة رابعة لإبراهيم تذكرها المصادر الاسلامية، بإسم حجور أو حجون أو حجوني، وقد انجبت له ابناء عدة[٦١]. فضلاً عما ذكر فإن قصة ولادة اسحاق بالطريقة التي روتها التوراة لم تكن الوحيدة من نوعها، فهناك مثلا ولادة يحيى عليه السلام قد تكون تكراراً لولادة اسحاق، فقد ولد لزكريا عليه السلام بعدما تقدم به العمر كثيراً، وكانت زوجته (اليصابات) عاقراً فسأل ربه ان يهبه غلاماً زكيا فكان يحيى كما اخبر الانجيل بذلك: ((.. كاهن اسمه زكريا... وامرأته من بنات هارون واسمها اليصابات... ولم يكن لهما ولد اذ كانت اليصابات عاقراً وكانا كلاهما متقدمين في ايامهما... فظهر له ملاك الرب واقفاً عن يمين مذبح البخور... فقال له الملاك لا تخف يا زكريا لأن طلبتك قد سمعت وامرأتك اليصابات ستلد لك ابنا وتسميه يوحنا))[٦٢]، فضلاً عن ان القرآن الكريم اكد ذلك في آيات عديدة[٦٣]. كما ان هنالك امثلة كثيرة منها ولادة عيسى عليه السلام بدون أب، وآدم عليه السلام من غير اب وام كما اخبر القران الكريم بذلك: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[سورة آل عمران: ٥٩].

واما حجتهم في ان اسحاق أُعطِيَّ إسماً قبل مولده، فان اسماعيل هو الآخر أعطي اسما قبل ولادته، وبنص التوراة: ((وقال لها ملاك الرب ها انت حبلى فتلدين ابناً، وتدعين اسمه اسماعيل...))[٦٤]، فاذا كان في ذلك

(٦٠) تكوين٢٥: ١ -٢؛ ذكرت التوراة ان حياة سارة كانت مائة وسبعة وعشرين سنة، فيكون عمر ابراهيم عند وفاة سارة مائة وسبعة وثلاثين سنة على اعتبار ان الفارق بينهما عشر سنوات، ينظر: تكوين٢٣: ١.

(٦١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٤٨؛ الطبري، تاريخ، ج١، ص١٨٦؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١، ص٢٨٥؛ ابن الاثير، الكامل، ج١، ص٩٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١، ص٣٥٤.

(٦٢) لوقا ١: ٥ -١٣.

(٦٣) [سورة آل عمران: ٣٨ -٤٠]؛ [سورة مريم: ١ -١١]؛[سورة الانبياء: ٨٩-٩٠].

(٦٤) تكوين ١١: ١٦.

كرامة لإسحاق(عليه السلام)، فلا بد ان تكون كذلك لإسماعيل(عليه السلام)، بل ان السبق فيها كان لإسماعيل اعطي اسمُهُ قبله، واعطيت البشارة بإسماعيل قبل إسحاق، كما ان يحيى وعيسى قد اعطيا إسميهما قبل ولادتهما كما اشار الانجيل الى ذلك: ((... وامرأتك اليصابات ستلد لك ابناً وتسميه يوحنا))[٦٥]، وهو يحيى بن زكريا وقد ذكر القرآن ذلك: ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾[٦٦] [سورة مريم: ٧]، واما عيسى(عليه السلام) فان الانجيل ايضا يشير الى تسميته قبل ولادته: ((فقال لها الملاك لا تخافي يا مريم لانك قد وجدت نعمة عند الله، وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع))[٦٧]، وهو يسوع المسيح(عليه السلام) ، والذي ذكره القرآن الكريم، إذ يقول تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ [سورة آل عمران: ٤٥].

واخيرا بخصوص ما يزعمون حول اسحاق انما كان ارفع قدراً من اسماعيل بدرجة لا نتمكن بحال من الأحوال المقارنة بينهما[٦٨]، او ان اسحاق ابن الزوجة المحبوبة[٦٩]، يبقى اسماعيل كما يعبر احد الباحثين النصارى هو ابن ابراهيم ابنه البكر عبراني حقيقي هو اول من ختن، وبهذا الختان لايمكن ازالة انتمائه الى العهد الابراهيمي مع الله[٧٠]، وما شاكل من هذه الافتراءات الباطلة فان مصدرها هو الحقد على العرب، ومحاولة التقليل من شأن اسماعيل(عليه السلام) بوصفه انه ابو العرب، ورفع شانهم بوصفهم كما يزعمون شعب الله المختار، لكنهم تناسوا، ان كلاً من اسماعيل واسحاق(عليهما السلام) ابنان للخليل(عليه السلام) وهما نبيان كما عبرعنهما القرآن الكريم بذلك فقال عن اسحاق

(٦٥) لوقا ١٣: ١.
(٦٦) كذلك ينظر: [سورة آل عمران: ٣٩]
(٦٧) لوقا ٣٠: ١ -٣١.

(٦٨) ماير، حياة ابراهيم، ص٨٤ -٨٥.
(٦٩) فنكلشتاين، سيلبرمان، التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها، ص٥٧.
(٧٠) لاوت، ابراهيم وابناء عهده مع الله، ص١٦٣.

﴿ ... نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾(٧١)، وعن اسماعيل ﴿ ... كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾(٧٢)، فما كان منا إلا ان نقول لا نفرق بين احد من رسل الله وانبيائه وهو قول الله تعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾(٧٣).

المبحث الثاني: الذبيح عند المسلمين

أولاً: الذبيح في القرآن الكريم

وردت حادثة الأمر الالهي الى النبي ابراهيم الخليل عليه السلام بذبح ولده في عدد من الآيات المباركة من سورة الصافات، يقول تعالى عن النبي ابراهيم: ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾[سورة الصافات: ٩٩-١١٢].

تبدأ مرحلة جديدة في مسيرة ابراهيم عليه السلام بعد ان وجد قومه مصرّين على كفرهم، وبعد ان نصره الله على قومه بأن انجاه من نارهم، وبعد ان يئس من ايمانهم بعد ما شاهدوا من الآيات

(٧١) [سورة الصافات: ١١٢]؛ كذلك ينظر: الطبري، جامع البيان، ج٢٣، ص١٠٦؛ الطوسي، التبيان، ج٨، ص٥٢١.

(٧٢) [سورة مريم: ٥٤]؛ كذلك ينظر: الطبرسي، الفضل بن الحسن (ت٥٦٠هـ/ ١١٦٤م)، مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق لجنة من العلماء والمحققين، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٤١٥هـ، ج٦، ص٤٢٩؛ ابن الجوزي، زاد المسير، ج٥، ص١٦٨.

(٧٣) [سورة آل عمران: ٨٤]؛ كذلك ينظر: الطبري، جامع البيان، ج١، ص ص٣٨٨-٣٨٩؛ الطبرسي، مجمع البيان، ج٢، ص٣٣٦.

العظيمة، هاجرمن بين اظهرهم، وقال ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾[٧٤]، وان مراده بالذهاب الى ربه، الذهاب الى مكان يتجرد فيه لعبادته تعالى ودعائه، وهوالأرض المقدسة[٧٥]. واما قوله تعالى ﴿ سَيَهْدِينِ ﴾، أي سيثبتني على الهدى الذي أبصرته، ويعينني عليه[٧٦]. كانت حقيقة تلك الهداية ان تحقق كمال الاسلام لديه، وقد اخذ الله على نفسه ان يسدد بالهداية اليه من جاهد فيه، وان يكون في معيّة المحسن، معيّة نصرة وتأييد[٧٧].

ذكر المفسرون ان ابراهيم عليه السلام لما هاجر من العراق الى الارض المقدسة اراد الولد فقال: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ يعني ولداً صالحا من الصالحين، كما تقول أكلت من الطعام، وحذف لدلالة الكلام عليه[٧٨]، وقيل يعينني على الدعوة والطاعة، ويؤنسني في الغربة، يعني الولد لأن لفظة الهبة غالبة فيه[٧٩]. وقيل صالحاً من الذين يطيعونك، ولا يعصونك ويصلحون في الارض، ولا يفسدون[٨٠]، او يعني اولاداً مطيعين يكونون عوضاً عن قومه وعشيرته الذين فارقهم[٨١]، وقيل ولداً من الصالحين، وحذف لدلالة الهبة عليه فانها في القرآن وكلام العرب غلب استعمالها مع العقلاء في الاولاد[٨٢]، ويدل على ذلك قوله تعالى عن ابراهيم كذلك ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ... ﴾ [سورة الانبياء:

(٧٤) [سورة الصافات: ٩٩]؛ كذلك ينظر: الطوسي، التبيان، ج٨، ص٥١٥؛ الطبرسي، مجمع البيان، ج٨، ص٣١٩.
(٧٥) الطبري، جامع البيان، ج٢٣، ص٨٩.
(٧٦) الطبري، جامع البيان، ج٢٣، ص٩٠.
(٧٧) العبيدي، احمد، الرمز في قصة ابراهيم، ط٢، مؤسسة دائرة معارف الفقه الاسلامي، (د. ط)، ٢٠٠٤، ص٥٢.
(٧٨) الطوسي، التبيان، ج٨، ص٥١٤؛ الطبرسي، مجمع البيان، ج٨، ص٣١٩؛ الآلوسي، محمود البغدادي (ت١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار احياء التراث العربي، بيروت، (د. ت)، ج٢٣، ص١٢٧.
(٧٩) الآلوسي، روح المعاني، ج٢٣، ص١٢٧.
(٨٠) الطبري، جامع البيان، ج٢٣، ص٩٠.
(٨١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص١٦.
(٨٢) الزمخشري، الكشاف، ج٤، ص٥٥؛ الالوسي، روح المعاني، ج٢٣، ص١٢٧.

٧٢]، وعن زكريا﵇ ﴿ ... وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ ﴾ [سورة الانبياء: ٩٠].

ويدل على ذلك ايضا قوله تعالى عقب هذا الدعاء: ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾ فإنه ظاهر في ان ما بشر به عين ما أستوهبه مع ان مثله، انما يقال عرفاً في حق الاولاد[٨٣]، وقد جمع فيه بشارات ثلاث، بشارة انه غلام، وانه يبلغ أوان الحلم، و أنه يكون حليما، وأي حلم يعادل حلمه﵇ حين عرض عليه أبوه الذبح فقال يا أبت إفعل ما تؤمر به ﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾، وقيل ما نعت الله الأنبياء﵈ بأقل مما نعتهم بالحلم لعزة وجوده غير ابراهيم وابنه فانه تعالى نعتهما به وحالهما المحكية بعد ذلك اعدل بينة بذلك[٨٤]، فقد نعت الله تعالى ابراهيم في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾ [سورة هود: ٧٥] وقوله تعالى: ﴿ ... إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ [سورة التوبة: ١١٤]. ومن هذا يتبين ان ابراهيم﵇ اذا كان موصوفاً بالحلم، فان ولده ايضا موصوف بالحلم، وانه قائم مقامه في صفات الشرف والفضيلة[٨٥].

اما قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ ﴾، قال مجاهد: معناه أطاق ان يسعى معه ويعينه على اموره[٨٦]. وقيل يعني: السعي بالعمل لله والعبادة[٨٧]. وقيل هنا السعي: فيه اقوال ثلاث، احدها: ان المراد بالسعي هنا المشي قاله ابن عباس، والثاني: انه المشي والمعنى مشى مع ابيه قاله قتادة، قال ابن قتيبة بلغ أي ينصرف معه ويعينه، والثالث:

(٨٣) الزمخشري، الكشاف، ج٤، ص٥٥؛ الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٦، ص١٣٢.

(٨٤) الطوسي، التبيان، ج٨، ص٥١٥؛ الزمخشري، الكشاف، ج٤، ص٥٥؛ الطبرسي، مجمع البيان، ج٤ ص٣٢١؛ الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٦، ص١٣٢؛ القرطبي، الجامع لاحكام القرآن، ج١٥، ص٩٨.

(٨٥) الطبري، جامع البيان، ج١٢، ص١٠٣-١٠٤؛ الطوسي، التبيان، ج٦، ص٣٦؛ الطبرسي، مجمع البيان، ج٥، ص١٣٣، ٣٠٩؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص٤٦٨ -٤٦٩.

(٨٦) الطبري، جامع البيان، ج٢٣، ص٩١؛ الطوسي، التبيان، ج٨، ص١٥٥.

(٨٧) الطبرسي، مجمع البيان، ج٨، ص٣٢١.

ان المراد بالسعي العبادة قاله ابن زيد[٨٨]، وقيل معناه فلما ادرك وبلغ الحد الذي يقدر فيه على السعي قيل مع من فقال مع ابيه، والمعنى في اختصاص الأب انه أرفق الناس واعطفهم عليه، وغيره ربما عنف به في الاستسعاء فلا يحتمله، لأنه لم تستحكم قوته، ولم يصلب عوده[٨٩].

والمقصود من هذا الكلام ان الله سبحانه وتعالى بعد ان وعده في الآية الاولى بأن ذلك الولد يكون حليماً، بين في هذه الآية ما يدل على كمال حلمه ووصوله الى حد القدرة على الفعل، امر الله تعالى ابراهيم بذبحه، كما انه كان به في غضاضة عوده من رصانة العقل، ورزانة الحلم وفسحة الصدر ما قوّاه على احتمال تلك البلية العظيمة، والاتيان بذلك الجواب الحسن والحكيم[٩٠]. ونحن نعرف ان الطفل لا يكلف بامور إلا على قدر طاقته في الحركة، وعلى قدر عافيته وقوته، فهو بلغ السعي ولكن مع والده لا مع غيره، لأن عوده لم يشتد بعد[٩١].

وكان الغلام يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة[٩٢]، والولد احب ما يكون عند ابيه في عمر يقدر فيه على مساعدة واعانة والده وقضاء حوائجه، وعدم عصيان اوامره[٩٣]. فحينما قال له ابوه ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ

(٨٨) الطوسي، التبيان، ج٨، ص٥١٦؛ ابن الجوزي، زاد المسير، ج٦، ص٣٠٣؛ القرطبي، الجامع لاحكام القرآن، ج١٥، ص٩٩؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص١٦ -١٧.

(٨٩) الزمخشري، الكشاف، ج٤، ص٥٥؛ الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٦، ص١٣٣.

(٩٠) الزمخشري، الكشاف، ج٤، ص٥٥؛ الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٦، ص١٣٤؛ الآلوسي، روح المعاني، ج٢٣، ص١٢٨.

(٩١) الشعراوي، محمد متولي، انبياء الله، دار مايو الوطنية للنشر، القاهرة، (د. ت)، ص١٠٤.

(٩٢) النحاس، احمد بن محمد بن اسماعيل (ت٣٣٨هـ/ ٩٤٩م)، معاني القرآن، تحقيق محمد علي الصابوني، جامعة ام القرى، الرياض، ١٤٠٩هـ، ج٦، ص٤٧؛ الطوسي، التبيان، ج٨، ص٥١٦؛ الطبرسي، مجمع البيان، ج٨، ص٣٢١؛ الزمخشري، الكشاف، ج٤، ص٥٥؛ ابن الجوزي، زاد المسير، ج٦، ص٣٠٣؛ الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٦، ص١٣٣؛ القرطبي، الجامع لاحكام القرآن، ج١٥، ص٩٩.

(٩٣) العبيدي، الرمز في قصة ابراهيم، ص٤٦.

﴿مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ روى ان ابراهيم عليه السلام رأى ليلة التروية في منامه كأن قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك هذا، فلما اصبح تروى في ذلك من الصباح الى الرواح، من الله هذا الحلم أم من الشيطان فسمي يوم التروية، ولما امسى رأى مثل ذلك فعرف انه من الله فسمي يوم عرفة، ثم رأى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي يوم النحر[٩٤]، وقيل ان الملائكة حين بشرته بغلام حليم قال هو إذن ذبيح الله فلما ولد وبلغ حد السعي معه قيل له اوف بنذرك[٩٥].

يقول الرازي: ((وهذا هو قول اهل التفسير وهو يدل على انه رأى في المنام ما يوجب ان يذبح ابنه في اليقظة وعلى هذا فتقدير اللفظ اني ارى في المنام ما يوجب ان اذبحك))[٩٦]، وكان الله تعالى ((اوحى الى ابراهيم في حالة اليقظة، وتعبده ان يمضي ما يأمره في حال نومه من حيث ان منامات الانبياء لا تكون إلا صحيحة))[٩٧].

ويذكر الشيخ الطوسي: ((وكان الله تعالى اوحى الى ابراهيم في حال اليقظة... ولو لم يأمره به في اليقظة لما جاز ان يعمل على المنامات))[٩٨].

وفي كلام التوراة ما يرمز الى ان الامر بالذبح كان ليلاً فانه بعد ان ذكر قوله تعالى لابراهيم عليه السلام بكر ابراهيم صباحا الى حيث امره الله: ((خذ ابنك وحيدك... فبكر ابراهيم صباحاً وشد على حماره واخذ اثنين من غلمانه معه واسحاق ابنه...))[٩٩].

فالامر اما مناماً او يقظة، لكن وقع تأكيداً لما في المنام إذ لا محيص من الايمان بما قصه القرآن علينا، والحزم الجزم بكونه في المنام لا غير، إذ لا يعول على ما في ايدي اليهود، وليس في الاخبار الصحيحة ما

(٩٤) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٦، ص١٣٣.
(٩٥) الطبري، جامع البيان، ج٢٣، ص٩٢؛ الطبرسي، مجمع البيان، ج٨، ص٣٢٥؛ القرطبي، الجامع لاحكام القرآن، ج١٥، ص١٠٢.
(٩٦) مفاتيح الغيب، ج٢٦، ص١٣٣.
(٩٧) الطوسي، التبيان، ج٨، ص٥١٦.
(٩٨) التبيان، ج٨، ص٥١٦ -٥١٧.
(٩٩) تكوين ٢: ٢٢ -٣.

يدل على وقوعه يقظة ايضا[١٠٠].

يذكر الطبرسي: ان رؤيا الانبياء حق، اذا رأوا شيئا فعلوه، وقال ابو مسلم: رؤيا الانبياء مع ان جميعها صحيحة ضربان احدهما: ان يأتي الشيء كما رأوه، ومنه قوله سبحانه ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ..﴾ [سورة الفتح: ٢٧]، والآخر ان يكون عبارة عن خلاف الظاهر مما رأوه في المنام، وذلك كرؤيا يوسف عليه السلام الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر ساجدين. وكانت رؤيا ابراهيم من هذا القبيل، لكن لم يأمن ان يكون ما رآه مما يلزمه العمل به على الحقيقة، ولا يسعه غير ذلك فلما اسلما اعلمه الله سبحانه انه صدق الرؤيا بما فعله، وفدى ابنه من الذبح بالذبح[١٠١].

ذكر محمد بن كعب: كانت الرسل يأتيهم الوحي من الله ايقاظاً ورقوداً، فإن الانبياء لا تنام قلوبهم وهذا ثابت في الخبر المرفوع، قال الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم: ((انا معاشر الانبياء تنام اعيننا ولاتنام قلوبنا))، وقال ابن عباس: رؤيا الانبياء وحي[١٠٢]. وعن عائشة رضي الله عنها قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن عيني تنامان ولا ينام قلبي))[١٠٣].

اما الحكمة في ورود هذا التكليف في النوم لا في اليقظة -كما قال بعض المفسرين-فيه عدة آراء منها:

الاول: ان هذا الامتحان الرباني، انما جاء في صورة الوحي المنامي، إكراما لنبيه ابراهيم الخليل عليه السلام ، بدلاً من ان يزعج بالامر بذبح ولده بوحي في اليقظة، لأن رؤيا المنام يعقبها تعبيرها إذ قد تكون مشتملة على رموز خفية، وفي ذلك تأنيس لنفسه لتلقي هذا التكليف الشاق عليه، وهو ذبح ابنه الوحيد[١٠٤].

ولهذا يقول الفخر الرازي: ان هذا

(١٠٠) الالوسي، روح المعاني، ج٢٣، ص١٢٨.
(١٠١) مجمع البيان، ج٦، ص ص٣٢١-٣٢٢.
(١٠٢) القرطبي، الجامع لاحكام القرآن، ج١٥، ص١٠١-١٠٢.
(١٠٣) ابن خزيمة، محمد بن اسحاق (ت٣١١هـ/ ٩٢٣م)، صحيح ابن خزيمة، تحقيق محمد مصطفى الاعظمي، المكتب الاسلامي، بيروت، ١٩٧٠، ج١، ص٢٩.
(١٠٤) الزغبي، قصة الذبيح، ص٩٥.

التكليف كان في نهاية المشقة على الذابح والمذبوح، فورد أولاً في النوم حتى يصير ذلك كالمنبه، لورود هذا التكليف الشاق، ثم تأكيد حال النوم بأحوال اليقظة، فعند ذلك لايهجم هذا التكليف دفعة واحدة، بل شيئاً فشيئاً[١٠٥].

الثاني: ولعل الامر في المنام دون اليقظة لتكون مبادرتها الى الامتثال أدل على كمال الانقياد والاخلاص[١٠٦].

الثالث: ان الله سبحانه وتعالى جعل رؤيا الانبياءﷺ حقاً، فكما أُري يوسفﷺ سجود ابويه واخوته له في المنام من غير وحي الى ابيه فقال تعالى على لسان يوسف﴿ ... إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ [سورة يوسف: ٤]، وكما في وعد الرسول المصطفى محمدﷺ في دخول المسجد الحرام في المنام فقال تعالى: ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ .. ﴾ [سورة الفتح: ٢٧]، فانه قال على لسان ابراهيمﷺ: ﴿ ...إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ .. ﴾ [سورة الصافات: ١٠٢] ولعل ذلك كان في المنام دون اليقظة، لغرض تقوية الدلالة على كونهم صادقين مصدوقين، لأن الحال إما حال يقظة او حال منام، فاذا تظاهرت الحالتان على الصدق كان ذلك اقوى للدلالة من انفراد احدهما، ليكون في النهاية، بيان كونهم صادقين في جميع الاحوال[١٠٧].

اما قوله تعالى: ﴿ ... فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ... ﴾ [سورة الصافات: ١٠٢]، اذا كان قد ثبت ان ابراهيمﷺ قد تأكد، ان ما رآه في المنام هو وحي، وان الامر بذبح ابنه حق، فَلِمَ راجع ولده في هذا الامر[١٠٨]. قيل انما شاوره، وهو حتم، ليعلم ماعنده، فيما نزل من بلاء الله، فيثبت قدمه إن جَزِع، ويأمن عليه إن سَلّم، وليوطن نفسه عليه، فيهون ويكتسب المثوبة بالانقياد له قبل

(١٠٥) مفاتيح الغيب، ج٢٦، ص١٣٦.
(١٠٦) الالوسي، روح المعاني، ج٢٣، ص١٢٩.
(١٠٧) الزمخشري، الكشاف، ج٤، ص٥٦؛ الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٦، ص١٣٦.
(١٠٨) الزغبي، قصة الذبيح، ص٩٦.

نزوله[١٠٩]، ويشير الطباطبائي الى ان هذه الآية دليل على ان ابراهيم عليه السلام فهم من منامه، انه أمر له بالذبح مُثّل له في مثال نتيجة الامر، ولذا طلب من ابنه الرأي فيه، وهو يختبره بماذا يجيبه؟[١١٠].

وقيل لم يكن ذلك منه مشاورة لإبنه في طاعة الله، ولكن كان منه ليعلم ما عند ابنه من العزم، هل لديه من الصبر على امْرُ الله على مثل الذي هو عليه، فيسر بذلك ام لا، وهو في كل الاحوال ماض لأمر الله تعالى[١١١].

فيما يقول ابن كثير: انما أعلم ابنه بذلك، ليكون اهون عليه ليختبر صبره وجلده وعزمه في صغره على طاعة الله تعالى وطاعة ابيه[١١٢]؛ اما الزمخشري فيرى: ((فان قلت: لم شاوره في امر هو حتم من الله؟. قلت: لم يشاوره ليرجع الى رأيه ومشورته ولكن ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله فيثبت قدمه ويصبره إن جزع ويأمن عليه الزلل ان صبر وسَلَّم، وليعلمه حتى يراجع نفسه فيوطنها، ويهون عليها ويلقى البلاء، وهو كالمستأنس به، ويكتسب المثوبة بالانقياد لأمر الله قبل نزوله[١١٣].

كذلك فان قول ابراهيم عليه السلام لابنه ﴿فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ انما يشير الى ان ابراهيم لم يقدم على تنفيذ امر ربه في انزعاج، ولم يستسلم للامر في حالة جزع، ولم يطع ربه في تنفيذ الامر الالهي باضطراب، انما هو القبول، والرضا، والطمأنينة والهدوء، إذ يدل على ذلك عرض الأمر على ابنه، بالرغم من أنه أمر هائل، لكن بكل هدوء، وفي اطمئنان عجيب، فلم يأخذ ابنه على غرة لينفذ به امر ربه وينتهي، وانما يعرض عليه الأمر ويطلب من الإبن التروي في أمره، وان يرى فيه رأيه[١١٤].

(١٠٩) الطوسي، التبيان، ج٨، ص٥١٦.
(١١٠) محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، (د. ت)، ج١٧، ص١٥٢.
(١١١) الطبري، جامع البيان، ج٢٣، ص٩٣؛ القرطبي، الجامع لاحكام القرآن، ج١٥، ص١٠٣.
(١١٢) تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص١٧.
(١١٣) الكشاف، ج٤، ص٥٦.
(١١٤) الزغبي، قصة الذبيح، ص٩٧.

لقد كان ابنه حقاً عند حسن ظن ابيه، فلقد تلقى الأمر في طاعة تامة، ورضى كامل، واستسلام بيقين، حين قال ﴿... قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[سورة الصافات: ١٠٢].

قال الشافعي: والتفويض هو الصبر، والتسليم هو الصبر، والانقياد هو ملاك الصبر، فجمع له الذبيح جميع ما ابتغاه بهذه اللفظة اليسيرة[١١٥]. وقيل معنى الآية افعل ما امرت به ستجدني بمشيئة الله، وحسن توفيقه، ممن يصبر على الشدائد في جنب الله، ويسلم لأمره[١١٦].

ويذكر الطباطبائي في تفسير هذه الاية: صدر كلامه وان كان من ادبه مع ابيه إلا ان الذيل فيما بينه وبين ربه على ان التأدب مع مثل ابراهيم خليل الله عليه السلام، تأدب مع الله تعالى، وبالجملة لما ذكر له ابوه ما رآه في المنام، وكان امراً إلهياً بدليل قول ابنه ﴿ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُ﴾، أمره ان يرى فيه رأيه، وهومن ادبه عليه السلام مع ابنه، فقال له إبنه: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُ﴾، ولم يذكر انه الرأي الذي رآه هضماً لنفسه وتواضعا لأبيه كأنه لا رأي له قبال رأيه.

لذلك صدر القول بخطابه بالأبوة، ولم يقل: ان شئت فافعل ذلك ليكون مسألته القطعية تطييباً لنفس ابيه، ولأنه ذكر في كلامه انه أمرٌ أُمِرَ به ابراهيم، ولا يتصور في حق مثله ان يتروى او يتردد في فعل ما امر به دون ان يمتثل امر ربه. ثم في قوله تعالى ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ تطييب آخر لنفس ابيه، وكل ذلك مع ادبه مع ابيه عليه السلام ، وقد تأدب مع ربه إذ لم يأت بما وعده إياه في صورة القطع والجزم دون ان يستثني بمشيئة الله فان في القطع من غير تعليق الامر بمشيئة الله شائبة دعوى الاستقلال في السببية، ولتخلو عنها ساحة النبوة، وقد ذم الله لذلك قوماً إذ قطعوا امراً ولم يعلقوا[١١٧].

(١١٥) جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، الدر المنثور، مطبعة الفتح، جدة، ١٣٦٥هـ، ج٥، ص٢٨٢.

(١١٦) الطبرسي، مجمع البيان، ج٨، ص٣٢٢.

(١١٧) الميزان في تفسير القرآن، ج٦، ص٢٧٣-٢٧٤.

قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴾ [سورة الصافات: ١٠٣]، يعني ابراهيم وابنه، اي استسلما لأمر الله ورضيا به، اخذ ابراهيم ابنه لتنفيذ الأمر الإلهي، ومعنى تله للجبين، اي صرعه، والجبين ما عن يمين الجبهة او شمالها، وللوجه جبينان الجبهة بينهما[١١٨]. وقيل (تله للجبين) أي اضجعه على جبينه، وقيل معناه وضع جبينه على الارض لئلا يرى وجهه، فتلحقه رقة الآباء، وروي انه قال: اذبحني وانا ساجد، لاتنظر الى وجهي، فعسى ان ترحمني فلا تذبحني[١١٩]. او ان اجزع فامتنع منك، ولكن اربط يدي الى رقبتي، ثم ضع وجهي الى الارض، فأما انت فلا تنظر الى وجهي، واما انا فإن جزعت لم امتنع منك[١٢٠]. اما الطبري فيرى في معنى الاية: بعد ان اسلما جميعا لأمر الله، ورضي الغلام بالذبح، ورضي الاب بأن يذبحه قال: يا ابت اطرحني ارضا على وجهي، كيلا تنظر إليَ فترحمني، وأنظر انا الى الشفرة فاجزع، ولكن ادخل الشفرة من تحتي، وامض لأمر الله[١٢١].

قال المفسرون في معنى قوله تعالى: ﴿ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴾[سورة الصافات: ١٠٤ -١٠٦]، لما اضجع ابراهيم ابنه للذبح نودي من خلفه: يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا، فقد جاء عن ابن عباس: ان ابراهيم عليه السلام لما صرع ولده لأجل ذبحه امتثالاً لأمر الله تعالى، كان على ولده قميص ابيض، فقال يا أبت إنه ليس لي ثوب تكفنني فيه غيره، فاخلعه حتى تكفنني فيه، فعالجه ليخلعه فنودي من

(١١٨) الطوسي، التبيان، ج٨، ص٥١٦؛ الزمخشري، الكشاف، ج٤، ص٥٦؛ الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٦، ص١٣٧؛ الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، (د. ت)، ج١٧، ص١٥٢.

(١١٩) الطبرسي، مجمع البيان، ج٨، ص٣٢٢.

(١٢٠) الصنعاني، عبد الرزاق بن همام (ت٢١١هـ/ ٨٢٦م)، تفسير القرآن، تحقيق د. مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٠هـ، ج٣، ص ص١٥١ -١٥٢.

(١٢١) جامع البيان، ج٢٣، ص٩٤؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص١٧.

خلفه ﴿أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ﴾ اي حصل المقصود من رؤياك واضجاعك ولدك للذبح[١٢٢].

وقيل صدقت الرؤيا، اي حققت الرؤيا بما امرت به، وقوله تعالى: ﴿...إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ...﴾ [سورة الصافات: ١٠٥]، اي الموحدين فان قيل كيف قال صدقت الرؤيا ورأى انه يذبح ولم يذبح، الجواب: انه قد اتى بما قدر عليه من الذبح، فجعله مصدقا بهذا المعنى، والاخر ان المقصود من الامر والمطلوب منه، كان هو استسلامهما هذا لولده وهذا لروحه، فلما فعلا ذلك سماهما مصدقين[١٢٣]. فقد قال له الله تعالى قد صدقت الرؤيا، يعنى حصل المقصود من تلك الرؤيا[١٢٤]، وذلك حين تَيسّرا للعمل واقبلا على الفعل، فكان صَدَقَهَا ذبْحُها مكانها، وهو الفداء، وكان ذلك امراً في المعنى ضرورة، فكان ما كان من ابراهيم امتثالا، ومن اسماعيل انقياداً، وَوُضِّحت المعاني بحقيقتها، وجرت الالفاظ على نصابها لصوابها، ولم يحتج الى تأويلٍ فاسدٍ يقلب الجلد نحاسا او غيره[١٢٥]. كما ذكر بعض المفسرين ان ابراهيم لما جر السكين ضرب الله عليه صفيحة من نحاس، فلم تعمل السكين شيئا، او كان كلما جرالسكين على نحره انقلبت على اختلاف الرواية، ثم حز في قفاه فلم تعمل السكين شيئا[١٢٦].

(١٢٢) الطبري، جامع البيان، ج٢٣، ص٩٥؛ الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٦، ص١٣٧؛ ابن حيان الاندلسي، البحر المحيط، ج٧، ص٣٥٦؛ جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، ج٥، ص٢٨٠؛ الالوسي، روح المعاني، ج٢٣، ص١٣٠.

(١٢٣) السمعاني، منصور بن محمد بن عبد الجبار(ت٤٨٩هـ/ ١٠٩٥م)، تفسير القرآن، تحقيق ياسر بن ابراهيم وغنيم بن عباس، دار الوطن، الرياض، ١٩٩٧، ج٤، ص٤٠٩؛ الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٦، ص١٣٧.

(١٢٤) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٦، ص١٣٧.

(١٢٥) ابن العربي، محمد بن عبد الله (ت٥٤٣هـ/ ١١٤٨م)، احكام القرآن، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الفكر للطباعة، بيروت، (د. ت)، ج٤، ص٣٣.

(١٢٦) الطبري، جامع البيان، ج٢٣، ص٩٢؛ الطوسي، التبيان، ج٨، ص٥١٩؛ الطبرسي، مجمع البيان، ج٨، ص٣٢٤؛ ابن الجوزي، زاد المسير، ج٦، ص٣٠٤؛

قالوا ذلك كله جائز في القدرة الالهية، ولكن يفتقر الى نقل صحيح، فانه لا يدرك بالنظر؛ وانما طريقه الخبر، وكان الذبح والتئام الأجزاء بعد ذلك، اوقع في مطلوبهم من وضع النحاس موضع الجلد واللحم، وكله امر بعيد من العلم؛ ولو كان قد جرى لبيّنه الله تعالى تعظيما لرتبة اسماعيل وابراهيم عليهما السلام، وكان أولى بالبيان من الفداء[١٢٧].

أما ما جاء من امرار الشفرة وانقلاب السكين والتئام الاجزاء الى غير ذلك، فانه لم يصح كما يقول القرطبي[١٢٨]. وان البعض زعم ورود ذلك في بعض الاخبار لكنه لا يكاد يصح[١٢٩]. وبهذا يكون معنى صدقت الرؤيا، حققت ما نبهناك عليه، وفعلت ما امكنك، ثم امتنعت لما امرناك بالامتناع[١٣٠]. وهكذا بعد ان اطاع ابراهيم ربه، ونفذ بكل اخلاص ما امره بتنفيذه، قال تعالى: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾[سورة الصافات: ١٠٥-١٠٦]، أي بعدما فعلت ما أُمرت به في الرؤيا، وكما جزيناه بالعفو عن ذبح ابنه، نجزي من سلك طريقهما في الاحسان بالاستسلام والانقياد لامر الله تعالى، وهذا البلاء المبين، هذا هو الامتحان الظاهر والاختبار الشديد، وقيل: ان هذا لهو النعمة الظاهرة، وتسمى النعمة بلاءاً بسببها المؤدي اليها، كما يقال لأسباب الموت هي الموت، لأنها تؤدي اليه[١٣١].

قوله تعالى: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة الصافات: ١٠٧] عن ابن عباس: ان الله سبحانه وتعالى انزل على ابراهيم كبشاً من الجنة، وهو الكبش الذي تقبله الله تعالى من هابيل، ويقال كبش رعى في الجنة اربعين خريفاً[١٣٢].

(١٢٧) ابن العربي، احكام القرآن، ج٤، ص٣١؛ القرطبي، الجامع لاحكام القرآن، ج١٥، ص١٠٢.
(١٢٨) الجامع لاحكام القرآن، ج١٥، ص١٠٤.
(١٢٩) الالوسي، روح المعاني، ج٢٣، ص١٣١.
(١٣٠) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٦، ص١٣٧؛ القرطبي، الجامع لاحكام القرآن، ج١٥، ص١٠٢.
(١٣١) الطوسي، التبيان، ج٨، ص٥١٨-٥١٩؛ الطبرسي، مجمع البيان، ج٨، ص٣٢٢؛ الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٦، ص١٣٧.
(١٣٢) الطبرسي، مجمع البيان، ج٨، ص٣٢٤.

وقيل الفداء جعل الشيء مكان غيره، لدفع الضرر عنه، ومنه فداء المسلمين بالمشركين لدفع الضرر الأشد عنهم، فكذلك فداء الله ولد ابراهيم كبشاً لدفع ضرر الذبح عنه[١٣٣].

يذكر الزغبي ان امر الله تعالى لإبراهيم بذبح ولده، كان أمر إبتلاء، وليس المقصود به التشريع؛ إذ لو كان تشريعاً لما نسخ قبل العمل به، والمقصود من هذا الإبتلاء اظهارعزمه، وإثبات علو مرتبته في طاعة ربه، فإن الولد عزيز على نفس الوالد، والولد الوحيد الذي هو أمل الوالد في مستقبله أشد عزة على نفسه لا محالة؛ فبعد أن أقر الله عينه بإجابة سؤله، وترعرع ولده، أُمِر بأن يذبحه فينعدم نسله، ويخيب أمله، ويزول انسه، ويتولى بيده إعدام أحب النفوس اليه، وذلك أعظم الإبتلاء فقابل أمر ربه بالإمتثال، وحصلت حكمة الله من إبتلائه[١٣٤].

وصف هذا الذبح المفدى به (بانه عظيم)، ذلك لعظمه وسمنه؛ إذ وصف بانه عظيم الجثة سمين[١٣٥]، والمراد بعظمة الذبح، عظمة شأنه؛ بكونه من عند الله سبحانه، وهو الذي فدى به الذبيح[١٣٦]. وقيل: هو كبش أملح أقرن نزل من السماء على الجبل الايمن من مسجد منى، بحيال الجمرة الوسطى، وكان يمشي في سواد، ويأكل في سواد وينظر في سواد، ويبعر في سواد، ويبول في سواد[١٣٧]. وقيل الذبح العظيم: كان شاة أو وعلاً[١٣٨].

المبحث الثالث:

اختلاف المسلمين حول الذبيح

أولاً: أسباب الاختلاف

(١٣٣) الطوسي، التبيان، ج٨، ص٥١٩ - ٥٢٠.
(١٣٤) قصة الذبيح، ص١٠٢.

(١٣٥) الطبري، جامع البيان، ج٢٣، ص١٠٥؛ القرطبي، الجامع لاحكام القرآن، ج١٥، ص١٠٧؛ الطريحي، فخر الدين بن محمد بن علي (ت١٠٨٥هـ/ ١٦٧٤م)، تفسير غريب القرآن، تحقيق محمد كاظم الطريحي، انتشارات الزاهدي، قم المقدسة، (د. ت)، ص١٦٤.
(١٣٦) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١٧، ص١٥٣.
(١٣٧) الطبرسي، مجمع البيان، ج٨، ص٣٢٧.
(١٣٨) الطبري، جامع البيان، ج٢٣، ص١٠٤- ١٠٥.

اذا كان اليهود والنصارى قد اجمعوا على ان الذبيح هو اسحاق عليه السلام ، وقد اشرنا الى فساد قولهم، وتناقض رواياتهم التوراتية، فان علماء المسلمين قد اختلفوا في من هو الذبيح من ولد ابراهيم عليه السلام، فذهب فريق الى انه اسحاق عليه السلام، معتمدين على روايات وحجج مرفوعة الى النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، واخرى روايات قد اوقفت على عدد من الصحابة والتابعين. اما الفريق الثاني من علماء المسلمين فيذهب الى ان الذبيح هو اسماعيل عليه السلام، كذلك اعتمدوا على روايات مرفوعة الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبعضها موقوفة على بعض الصحابة والتابعين. ومن خلال البحث سنبين اهمية هذه الروايات والحجج والادلة العقلية والنقلية لكل فريق، اما الفريق الثالث فانه لم يعين شخصا محددا من ولد ابراهيم عليه السلام، والقول بانه هو الذبيح، لأنهم يقولون بان ادلة الفريقين قد تساوت عندهم، ومن هذا الفريق من يقول ان الذبح وقع مرتين، واحدة في الشام لإسحاق، ومرة بمكة لإسماعيل عليه السلام[١٣٩].

اما عن سبب هذا الاختلاف بين علماء المسلمين حول تعيين الذبيح من ولد ابراهيم الخليل عليه السلام؛ فيرجع الى ان القرآن الكريم، لم يذكر اسم الذبيح بشكل صريح، وبالتالي يثبت اسم الذبيح، كذلك بالنسبة الى السنة النبوية الشريفة، لايوجد حديث صحيح معتمد ومجمع عليه، فالطبري يصرح باختلاف السلف من علماء الامة الاسلامية في تحديد من هو الذبيح من ولد ابراهيم عليه السلام، فمنهم من يقول انه اسحاق فيما يذهب آخرون الى انه اسماعيل، ويذكر ان كلا القولين قد روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولو كان فيهما صحيح لم نذهب الى غيره[١٤٠].

اما الروايات التي وردت من الشيعةالامامية عن ائمة اهل البيت عليهم السلام، فانها تذكر ان الذبيح هو اسماعيل عليه السلام، والتي وردت من طرق اهل السنة والجماعة مختلفة، فصِنْفٌ يذكر اسماعيل، وصنف

(١٣٩) الآلوسي، روح المعاني، ج٢٣، ص١٣٦.
(١٤٠) تاريخ، ج١، ص١٥٨؛ الطبرسي، مجمع البيان، ج٨، ص٣٢٢؛ القرطبي، الجامع لاحكام القران، ج١٥، ص٩٩.

يذكر اسحاق عليه السلام[١٤١]. ويذكر الجزائري: اختلاف علماء الاسلام في تعيين الذبيح، هل هو اسماعيل او اسحاق عليهما السلام، فذهب الشيعة الامامية وجماعة من العامة الى انه اسماعيل عليه السلام، والاخبار الصحيحة دالة عليه عليه السلام دلالة غيرهما من الآيات ودلائل العقل. وذهب طائفة من الجمهور الى انه اسحاق عليه السلام، وبه اخبار واردة من الطرفين وطريق تأويلها اما تحمل على التقية[١٤٢]، واما حملها على ما قاله الصدوق: كان الذبيح اسماعيل عليه السلام، لكن اسحاق لما ولد بعد ذلك تمنى ان يكون هو الذي أُمر ابوه بذبحه، فكان يصبر لأمر الله عز وجل، ويسلم له كصبر اخيه وتسليمه؛ فينال بذلك درجته في الثواب، فعلم الله عز وجل ذلك من قلبه، فسماه بين ملائكته ذبيحا لتمنيه لذلك[١٤٣].

يقول البغوي: اختلف العلماء من المسلمين في هذا الغلام الذي امر ابراهيم بذبحه بعد اتفاق اهل الكتابين على انه اسحاق: فقال قوم هو اسحاق؛ واليه ذهب عدد من الصحابة عمر والامام علي وابن مسعود وابن عباس؛ ومن التابعين واتباعهم كعب الاحبار وسعيد بن جبير وقتادة ومسروق وعكرمة وعطاء ومقاتل والزهري والسدي؛ وهي رواية عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس، وكانت هذه القصة بالشام، وقال آخرون هو اسماعيل واليه ذهب عبد الله بن عمر وهو قول سعيد بن المسيب والشعبي والحسن البصري ومجاهد والربيع بن انس ومحمد بن كعب القرظي والكلبي، وهي رواية عطاء بن ابي رباح، ويوسف بن ماهك، عن ابن عباس قال: المفدى اسماعيل، وكلا

(١٤١) الطباطبائي، تفسيرالميزان، ج١٧، ص١٢٨.

(١٤٢) نعمة الله (ت ١١١٢هـ/ ١٧٠٠م)، قصص الانبياء، منشورات الشريف الرضي، قم المقدسة، (د. ت)، ص١٥٢.

(١٤٣) محمد بن علي بن الحسين (ت٣٨١هـ/ ٩٩١م)، عيون اخبار الرضا عليه السلام، تصحيح وتعليق وتقديم الشيخ حسين الاعلمي، مطابع مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٩٨٤، ج٢، ص١٩١؛ الصدوق، محمد بن علي (ت٣٨١هـ/ ٩٩١م)، الخصال، تصحيح علي اكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة، ١٤٠٣هـ، ص٥٨.

القولين يروى عن رسول الله ﷺ[١٤٤].

اما الفاكهي فيقول: وقد قال الناس في الذبيح ما قالوا فقالت العرب هو اسماعيل، وقالت طائفة من المسلمين واهل الكتاب جميعا انه اسحاق فإن اقوال العرب في ذلك اثبت[١٤٥].

ويذهب احد الباحثين الى ان مسألة الذبيح ليس فيها دليل قاطع من سنة صحيحة ولا خبر متواتر، بل روايات منقولة عن بعض اهل الكتاب وعن بعض الصحابة والتابعين، ومن ثم حدث الخلاف فيها[١٤٦]. لكن علماء كل فريق رجحوا القول الذي يرون انه يوافق ظاهر القرآن الكريم، ويتفق مع استنباطهم من آياته المباركة، وكذلك القول الذي يرون انه قد وردت فيه احاديث اصح من غيره واقوى في النقل[١٤٧].

ولهذا نلاحظ ان الطبري بعد ان ذكر تعدد الآراء حول الذبيح من ولد ابراهيم عليه السلام نراه يقول: ((غير ان الدليل من القرآن على صحة الرواية التي رويت عنه ﷺ انه قال هو اسحاق اوضح وابين منه على صحة الاخرى))[١٤٨]، ويقول ايضا في تفسيره: ((واولى القولين بالصواب في المفدى من ابني ابراهيم خليل الرحمن على ظاهر التنزيل قول من قال: هو اسحاق))[١٤٩].

اما القرطبي فيصرح قائلا: اختلف العلماء في المامور بذبحه، فقال اكثرهم الذبيح اسحاق، وبعد ان يذكر اسماء الصحابة والتابعين الذين قالوا بهذا يقول: ((هذا القول اقوى في النقل عن النبي ﷺ

(١٤٤) الطبرسي، مجمع البيان، ج٨، ص٣٢٢؛ الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٦، ص١٣٣ -١٣٤؛ ابن جزي الكلبي، محمد بن احمد بن محمد الغرناطي(ت٧٤١هـ/ ١٣٤٠م)، التسهيل لعلوم التنزيل، ط٤، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٣، ج٣، ص١٧٤.

(١٤٥) محمد بن عبد الله بن احمد (ت٢٥٠هـ/ ٨٦٤م)، أخبار مكة وما جاء بها من الاثار، تحقيق رشدي الصالح ملحس، دار الاندلس، بيروت، ١٩٩٦، ج٥، ص١٢٦.

(١٤٦) الزغبي، قصة الذبيح، ص٨١.

(١٤٧) الزغبي، قصة الذبيح، ص٨١.

(١٤٨) تاريخ، ج١، ص١٥٨؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١، ص٢٨٤.

(١٤٩) الطبري، جامع البيان، ج٢٣، ص١٠٢.

وعن الصحابة والتابعين))[١٥٠].

ومن ناحية اخرى فان الفريق الثاني الذي يرى اصحابه ان الذبيح هو اسماعيل، يذهبون كذلك الى ان هذا الرأي يتفق مع نصوص القرآن الكريم، ويعتمد على الاحاديث والآثار الثابتة لديهم، فالشيخ الصدوق يقول: ((وقد اختلفت الروايات في الذبيح فمنها ما ورد بانه اسماعيل ومنها ما ورد بانه اسحاق، ولا سبيل الى رد الاخبار متى صحَّت طرقها، وكان الذبيح اسماعيل))[١٥١]، والشيخ الطوسي يقول: ((لمكان الخبر ولإجماع علماء اهل البيت انه اسماعيل))[١٥٢]. فقد جاء عن ائمة اهل البيت عليهم السلام ان الذبيح اسماعيل[١٥٣]، وينقل عن الامام جعفر الصادق عليه السلام قوله: ((فمن زعم ان اسحاق اكبر من اسماعيل، وان الذبيح اسحاق فقد كذب بما انزل الله عز وجل في القرآن من نبأهما))[١٥٤]. ولهذا اكد مفسرو الشيعة على ان اسماعيل هو الذبيح، وظاهر آيات القرآن الكريم المختلفة، تؤكد على ان اسماعيل ذبيح الله[١٥٥].

ويؤكد ابن عساكر، ان الذبيح هو اسماعيل، إذ انه يقول: ((وقد ذهب جماعة الى ان الذبيح اسماعيل، وسياق القرآن يدل عليه، ويدل عليه قول النبي صلى الله عليه وآله: انا ابن الذبيحين))[١٥٦].

(١٥٠) الجامع لاحكام القرآن، ج١٥، ص٩٩-١٠٠.

(١٥١) محمد بن علي بن الحسين، (ت٣٨١هـ/ ٩٩١م)، من لايحضره الفقيه، تصحيح على اكبر الغفاري، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة، (د. ت)، ج٢، ص٢٣٠.

(١٥٢) محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م)، الأمالي، تحقيق قسم الدراسات الاسلامية، مؤسسة البعثة، دار الثقافة للطباعة والنشر، قم المقدسة، ١٤١٤هـ، ص٤٥٧.

(١٥٣) الصدوق، عيون اخبار الرضا عليه السلام، ج٢، ص١٩١.

(١٥٤) الصدوق، محمد بن علي بن الحسين (ت٣٨١هـ/ ٩٩١م)، معاني الاخبار، تحقيق على اكبر الغفاري، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ١٣٧٩هـ، ص٣٩١.

(١٥٥) الشيرازي، الشيخ ناصر مكارم، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ط٢، الاميرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٩، ج١٤، ص٢٤٢.

(١٥٦) علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي

اما ابن تيمية فيرى ان الذبيح فيه قولان: ((لكن الذي يجب القطع به انه اسماعيل، وهذا الذي عليه الكتاب والسنة، والدلائل مشهورة، وهو الذي تدل عليه التوراة التي بأيدي اهل الكتاب، وايضا فإن فيها انه قال لابراهيم إذبح ابنك وحيدك وفي ترجمة اخرى بكرك واسماعيل هو الذي كان وحيده وبكره باتفاق المسلمين واهل الكتاب))[١٥٧] ويقول ايضاً ((فإن الذبيح هو اسماعيل على اصح القولين للعلماء وقول اكثرهم كما دل عليه الكتاب والسنة))[١٥٨].

ويعلق ابن كثير على من يقول ان الذبيح هو اسحاق بقوله: ((وليس في ذلك حديث صحيح عن المعصوم حتى نترك لأجله ظاهر الكتاب العزيز، ولايفهم هذا من القرآن، بل المفهوم بل المنطوق بل النص عند التأمل على انه اسماعيل))[١٥٩]. ويشير في موضع آخر الى من يقول انه اسحاق انما مصدره احبار اليهود فيقول: ((وقد ذهب جماعة من اهل العلم الى ان الذبيح هو اسحاق، وحكي ذلك عن طائفة من السلف، حتى نقل عن بعض الصحابة ايضا، وليس ذلك في كتاب ولا سنة، وما اظن ذلك تُلُقي إلا عن احبار اهل الكتاب، واخذ ذلك مسلَّماً من غير حجة، وهذا كتاب الله شاهد ومرشد الى انه اسماعيل فانه ذكر البشارة بالغلام الحليم وذكر انه الذبيح...))[١٦٠].

(ت٥٧١هـ/ ١١٧٥م)، تاريخ دمشق، تحقيق علي شيري، دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٩٩٨، ج٦، ص٢٠٥.

(١٥٧) احمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م)، مجموع الفتاوي، جمع وترتيب عبد الرحمن محمد بن القاسم، الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين، الرياض، (د. ت)، ج٤، ص٣٣١-٣٣٢؛ المحبيّ، محمد امين بن فضل الله بن محب الله(ت١١١١هـ/ ١٦٩٩م)، جني الجنتين في تميز نوعي المثنيين، تحقيق لجنة احياء التراث العربي، دار الافاق الجديدة، بيروت، (د. ت)، ص٥٠.

(١٥٨) ابن تيمية، احمد بن عبد الحليم (ت٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م)، الرد على المنطقيين، دار المعرفة، بيروت، (د. ت)، ص٥١٧.

(١٥٩) ابو الفدا إسماعيل (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، قصص الأنبياء، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٨، ج١، ص٢١٥.

(١٦٠) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص١٦.

اما الفريق الثالث الذي يرى تساوي الادلة حول كل من اسماعيل واسحاق، وقد توقفوا في هذه المسألة، ولم يحددوا من هو الذبيح من ولد ابراهيم؛ فالزجاج يقول: الله اعلم ايهما الذبيح، وهذا مذهب ثالث[١٦١]، والسيوطي بعد ان يذكر ابرز القائلين بان الذبيح اسماعيل، والقائلين بأن الذبيح هو اسحاق، والذي اختاره الطبري وجزم به القاضي عياض في الشفا والسهيلي في التعريف والاعلام يقول: وكنت ملت اليه في علم التفسير، وانا الآن متوقف في ذلك، والله سبحانه وتعالى اعلم[١٦٢].

(١٦١) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٦، ص١٣٥؛ القرطبي، الجامع لاحكام القرآن، ج١٥، ص١٠١.

(١٦٢) جلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن ابي بكر(ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، القول الفصيح في تعيين الذبيح ضمن كتاب الحاوي للفتاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢، ج١، ص٣٢٢؛ العجلوني، اسماعيل بن محمد (ت١١٦٢هـ/ ١٧٤٨م)، كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على السنة الناس، تحقيق احمد القلاش، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ، ج١، ص٢٣١.

هناك رأي يتفرد به بعض الامامية، فالامامية قد اجمعت على ان الذبيح هو اسماعيل، وهو الذي جرت قصته كما عبر عنها القرآن الكريم، وقد جرت في مكة المكرمة، وانتهت بالفداء الالهي لإسماعيل، إلا أن بعض علماء الامامية ترى ان اسحاق بعد ان ولد تمنى ان يكون هو الذبيح من ولد ابراهيم لينال هذا الثواب والأجر العظيم، فعلم الله تعالى ذلك من قلبه فسماه بين الملائكة ذبيحاً لتمنيه ذلك[١٦٣]. وهذا يعني ان اسماعيل هو الذبيح الحقيقي، واسحاق هو الذبيح المجازي ولكن هذا الرأي ضعيف، لأن كلمة الذبيح لا تصدق إلا على من قصدوا ذبحه لله تعالى قصداً عملياً حقيقياً ورضي

(١٦٣) الصدوق، الخصال، ص٥٨؛ الصدوق، عيون اخبار الرضا، ج٢، ص١٩١؛ الصدوق، من لايحضره الفقيه، ج٢، ص٢٣١؛ الشيخ الطريحي، فخر الدين بن محمد بن علي (ت١٠٨٥هـ/ ١٦٧٤م)، مجمع البحرين، تحقيق السيد احمد الحسيني، ط٢، مكتب النشر الثقافة الاسلامية، قم المقدسة، ١٤٠٨هـ، ج٢، ص٨٣؛ الفيض الكاشاني، التفسير الصافي، ج٢، ص١٠٥٥، ج٤، ص٢١٧؛ المجلسي، بحار الانوار، ج١٢، ص١٢٣.

به، ولو كان يكفي لإطلاقها مجازاً، ان الشخص قد احب ذلك ونواه كما في اسحاق، لصح ان تطلق على كل آباء النبي، بل على اكثر من المؤمنين، لأن اكثر الأنبياء والاوصياء والمؤمنين، يحبون مقام اسماعيل، وينوون ان لو كانوا مكانه لقبلوا ما قبل به.

وبهذا يظهر لنا فريقان الأول يذهب الى ان الذبيح هو اسحاق بن ابراهيم، والفريق الثاني يذهب الى ان الذبيح هو اسماعيل بن ابراهيم.

الخاتمة:

١. حاول اليهود وتابعهم النصارى سلب إسماعيل فضيلة الذبيح وما جرى على إبراهيم عندما أمر بذبح ابنه إسماعيل، وجعلوا الذبيح إسحاق من خلال تلفيق نصوص التوراة، وجعلها تقول إن الذبيح إسحاق، ولكن الثابت أن الذبيح الحقيقي هو إسماعيل من خلال الأدلة التي جاءت من القران الكريم والأحاديث النبوية الشريفة فضلا عن التوراة نفسها، كما أن ذلك جرى في مكة وارتبط بشعائر الحج الإبراهيمي وما جرى على ابراهيم وهاجر، ولم يرتبط بإسحاق الذي اختلف اليهود أنفسهم في مكان الذبح في أي مكان من بلاد الشام فضلا عن أن إسحاق لم يذهب الى الحجاز، ولم تشر المصادر الى ذلك.

٢. إن اليهود حاولوا التلاعب بحقائق التاريخ وثوابته، ولعل تداولهم للتوراة الحالية التي غيروا بها وأضافوا إليها خير دليل على ذلك.

٣. حاولت المصادر اليهودية والمسيحية، سلب حقوق إسماعيل وتجريده من كل حق يربطه بأبيه إبراهيم لهذا يعد جعل اليهود نسبة المولود إلى أمه التي يجب أن تكون يهودية، ماهي إلا محاولة لتجريد إسماعيل من حق النسب إلى إبراهيم وبالتالي تجريد العرب أبناء إسماعيل من أي حق من الحقوق في محاولة لإقصاء العرب تاريخيا، بالرغم من عدم نكرانها، انه بكر أبيه و وحيده لمدة تزيد على الثلاثة عشر عاما، إلا أنها تجعل البركة والعهد

لإسحاق دون أن تعطينا سبباً مقنعاً لذلك. فيما جاء في القران الكريم والمصادر الإسلامية بان إسماعيل نبي لا يختلف عن غيره من أبناء إبراهيم، بل إن القران الكريم وصف إسماعيل بالصبر والحلم والصدق وغير ذلك من الأوصاف.

٤. يتضح أن حادثة الذبيح إسماعيل حدثت قبل بناء الكعبة، وذلك بوجود أم إسماعيل هاجر في حادثة الذبيح، ولكنها كانت متوفية عندما جاء الأمر ببناء الكعبة المشرفة.